

في علاقة عبد الله بن عباس بالشعر

فهد العرابي الحارثي

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض
المملكة العربية السعودية

المستخلص : ظل المشتهر من علاقة عبد الله بن عباس رضي الله عنه بالشعر هو الجانب الذي يقع ضمن إطار منهجه في التفسير ، وهو المنهج الذي كان الشعر فيه - كما نعرف - مصدراً من مصادر شرح الغريب وتأويله . وهو ، لاشك ، منهجٌ ثر يتسع لأكثر من رؤية ومازال قابلاً لمزيد من الاهتمام والدرس .

إن هذا البحث ، الذي بين أيدينا ، يعالج جانباً آخر من علاقة ابن عباس بالشعر ، وهو الجانب الذي يقع خارج إطار منهجه في التفسير . فهو يتناول ابن عباس من حيث كونه ولعاً بهذا الفن وكلفاً به ، لاسيما من الوجهة الامتاعية والتذوقية . فلقد كان رضي الله عنه على صلات ببعض شعراء عصره ، ولقد كان يجعل للشعر «يوماً خاصاً» به فلا يقال فيه إلا الشعر وما يتعلق بالشعر . فهو ، إذن ، يستمع إلى الشعر ، وهو يتمثل به ويحفظه ويرويهِ ويقومُه ويحكم فيه ، وهو - فوق كل ذلك - يعد ، بين معاصريه ، «أعلم الناس» بهذا الفن دون منازع . بل إن حميمية العلاقة هنا قد ترتفع ، أحياناً إلى مستوى دقيق وحاد ، فلا نعدم بعض الأخبار والمرويات التي تشير إلى أن تلك العلاقة لم تقف عند تلك الحدود السابق ذكرها ، بل لقد تجاوزت إلى ما هو أبعد ، إذ كان يحدث أن يتحول ، هو نفسه ، إلى منشئٍ للشعر .

لقد كان رضي الله عنه منحازاً دائماً إلى الشعر من حيث هو تعبير ، وصوت وجدان ، وصدى عاطفة ، ومصدر معلومة فيما يتعلق بالتاريخ والأيام والمواقع وغيرها . لكن ذلك لم يمنع أن يتحفظ ، تحفظاً شديداً ، على بعض الأغراض كالهجاء الذي رفضه أحياناً ، بل عاقب بعض شعرائه بالسجن والنفي .

إن هذا البحث يناقش جميع الأمور التي سبق ذكرها من خلال الأخبار والروايات التي تعرضت لهذا الجانب من حياة الصحابي الجليل .

وإن هذا البحث يغير ، هكذا ، المسار المألوف لاستحضار النموذج المشترك لعلاقة ابن عباس بالشعر : فمن المسار المعتاد لعلاقة قامت لأغراض علمية بحتة : أي اللجوء إلى الشعر في شرح الغريب ، إلى المسار الآخر لعلاقة إمتاعية تذوقية ، تنصب على الشعر من حيث هو مخزون يشتمل على قيم ثقافية وإبداعية وفنية متعددة . وهذا المسار يمكن ، لاشك ، أن يسهم في كشف المساحة الحقيقية التي كان يحتلها هذا الفن في عقل ابن عباس ووجدانه ، ويمكن ، في الوقت نفسه ، أن يلقي مزيداً من الضوء على علاقة الإسلام بالشعر بشكل عام .

مقدمة

إن كان هناك أحد من علماء الصحابة يتميز في علاقته بالشعر عن كل من سواه من هؤلاء فهو ، لأبد ، عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، وذلك من عدة وجوه أبرزها : أولاً : ريادته ، منهجياً ، لموضوع اللجوء إلى الشعر في تفسير الغريب ، فقد كان الشعر عنده مصدراً من مصادر التفسير ، موجداً بذلك أرضية مشتركة مباحة لالتقاء القرآن الكريم بالشعر ، وتلك الأرضية هي اللغة العجمية الواحدة .

ثانياً : اهتمامه بالشعر سماعاً وحفظاً ورواية ومتابعة وتقويماً ، فقد كان هذا الفن القولي من أبرز اهتمامات ابن عباس الثقافية . وإذا كان العلم الشرعي ، بمختلف صنوفه وفروعه ، يشغل حيزاً فسيحاً في عقل ابن عباس ووجدانه ، فلا شك أن الشعر لم يكن دون ذلك من حيث الاهتمام به ، ومن حيث منحه الدور الذي يليق به .

وليس هناك ، من الصحابة ، من يضاهي ، ابن عباس في الجمع بين الثقافتين : القديمة المتوارثة والجديدة المقدسة ، بل لعله أول من اضطلع بوضع اللبنة الأولى في صرح التعاون بينهما في مشروع تأخييهما في ثقافة العرب بعد الإسلام .

وفي كل الأحوال فإن من اللافت للانتباه أن أخبار ابن عباس على الوجهين السابقين - على الرغم من أهميتهما واعتداد الرواة بهما - لا تنتقل إلينا من المعلومات ، في تنوعها ، ما يتلاءم فعلاً وحجم السمعة الكبيرة التي يتمتع بها ابن عباس بين معاصريه من حيث صلته بالشعر . فهي ، فيما يتعلق بمشروعه في التفسير وتأويل الكتاب ، لا تركز ، في الأغلب ، إلا على قصة ابن عباس في إجاباته على سؤالات نافع بن الأزرق المشهورة^(١) ، وهي - أي تلك الأخبار - بالنسبة إلى اهتمامه بالشعر من حيث هو فن وتعبير ، تقف غالباً عند حدود التنويه بذلك الاهتمام والتأكيد عليه ، في شكل شهادات مكررة ، تفتقر عموماً إلى الأمثلة أو الأحداث أو المواقف المتنوعة . فالشهادات التي تلح على عمق علاقة ابن

عباس بالشعر ، قد تكون كثيرة ومتعددة ، وهي تجعل منه مرجعية مهمة في هذا الحقل ، مما يؤكد أنه لا خلاف بين معاصريه ، أو من تولوا متابعة أخباره ، حول هذه المسألة ، ولكن الصعوبة الحقيقية إنما تكمن في عدم وجود «مادة» متنوعة في أحداثها أو مواقفها أو شواهدا ، بحيث تتلاءم مع توالي تلك الشهادات أو تواترها أو تكررها . أو تنسجم حقاً مع ضخامة ما اشتهر به ابن عباس ثقافياً وتاريخياً .

إننا لانظن أن إجابات ابن عباس على سؤالات نافع هي كل ما قاله ابن عباس فيما يتعلق بموقع الشعر من إنجاز العلم الذي كان رائداً فيه . بل إن مانعته هو أن الرواة إنما قصروا اهتمامهم على لقاء نافع بن الأزرق بـ ابن عباس لأنه كان أبرز الأمثلة وأظهرها فيما يتعلق بمنهج هذا الأخير وطريقته . أما ما عدا ذلك فإنه ربما كان يدخل - في نظرهم - في باب «الاعتبادي» أو التلقائي المتكرر الذي لا يحمل في ذاته ما يثير أو يضيف جديداً ، وإلا فكيف نفهم أنه قد أصبح من الذائع عند اللغويين أن ابن عباس لا يشرح شيئاً من الغريب إلا بإنشاد شيء من الشعر عليه ^(٢) في ظل غياب أمثلة متعددة أخرى غير ماورد في إجاباته على سؤالات نافع بن الأزرق .

وهذا وضع يمكن أن ينطبق أيضاً على ما يتردد ، وبالحاح ، حول علاقة ابن عباس بالشعر خارج مشروعة في التفسير . فالأخبار في هذا الصدد ، في عمومها ، لا تنتقل لنا أحداثاً متنوعة تتلاءم مع عمق مدلولات الشهادات التي تجعل من ابن عباس صديقاً كبيراً للشعر ، ومتذوقاً له ومهماً به ، متفرداً في كل ذلك عن جيله أو الجيل الذي سبقه من الصحابة . ومن تلك الأخبار أو الشهادات ، مثلاً ، ما يقوله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «ابن عباس أعلمنا بما مضى وأفقهنا فيما نزل مما لم يأت فيه شيء» ^(٣) وفي هذا إشارة إلى الموروث العربي الذي سبق الإسلام / الجاهلي / «ما مضى» ، وفي مقدمته الشعر حتماً ، وعبدالله بن عمرو بن العاص لا يستثني أحدًا حتى نفسه - إذ يختار صيغة المتكلمين - في عدم مضاهاة ابن عباس في العلم بهذا الـ «ما مضى» وفي الفقه فيما نزل .

ويقول عمرو بن دينار : «مارأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس : الحلال والحرام ، وتفسير القرآن ، والعربية والشعر والطعام» ^(٤) .

ويقول عطاء : «مارأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، وأعظم خشية . إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع» ^(٥) .

فابن عباس يشهد له معاصروه بعلمه بالشعر . ولاهتمامه وعنايته به كان يجعل له يوماً بذاته لا يذكر فيه علم آخر غيره ، وما جلس إليه عالم قط إلا خضع له ، ولا سألته سائل إلا وجد عنده علماً ^(٦) .

و «كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب ، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم ، وناس يأتونه للفقه والعلم ، فما من صنف إلا يقبل عليهم بما يشاؤون ، وكثيراً ما يجعل أيامه يوماً للفقه ويوماً للتأويل ، ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويوماً لوقائع العرب» ^(٧) .

ونلاحظ أن أمثال هذه الشهادات لاتقدم لنا تفاصيل أكثر حول ثقافة ابن عباس الشعرية ، أو حول علاقاته بالشعراء الذين يرتادون مجلسه ، أو حول ما كان يدور في «يوم الشعر» من حوارات أو مساجلات أو تناشد للشعر . ونظن أنه لو بلغنا ما كان يلقي على ابن عباس من أسئلة حول الشعر في مجلسه ، أو لو وصلتنا أخبار «يوم الشعر» الذي يلتقي فيه حتماً الشعراء ومحبو الشعر ، لوجدنا أنفسنا أمام ثروة لا يستهان بها من الأفكار والآثار والآراء والمواقف . ولكنه - مرة أخرى - ربما دخل الكثير من أخبار «يوم الشعر» ، وأخبار مجلس ابن عباس ، في باب «الاعتیادي» والمألوف مما لم يكن ليثير الرواة بما كان ينبغي لهم في تلك الأيام . هذا فضلاً عن أن نشاط ابن عباس في جانب القرآن وعلومه ، والحديث وشؤونه ، والفقه وشجونه ، هو الذي كان ، لابد ، يجد الاهتمام الأكبر والعناية الأمثل لدى الرواة . وذلك لما لهذه العلوم والفنون من فضل ، ومن تقدم ، على كل ماسواها من العلوم والفنون الأخرى . وفي كل الأحوال فإن ابن عباس كان ، بالنسبة إلى جيله ومعاصريه ، محسوباً على الثقافة الشرعية أكثر مما هو محسوب على ماعداها .

إن ما تقدم يمثل وجه الصعوبة الأوضح فيما يصادف الباحث الذي يتصدى لموضوع ابن عباس والشعر .

وفي كل الأحوال فإننا لن نتعرض في هذا البحث لمسألة الشعر في منهج ابن عباس في التفسير ، فذلك موضوع يستحق بحثاً مستقلاً بذاته ، لثرائه وأهميته ، ثم لأنه يشكل وجهاً آخر من وجوه علاقة ابن عباس بالشعر ، وهو الوجه الموضوعي الذي كان وراءه أغراض علمية بحتة بالدرجة الأولى .

إننا ، بالأحرى ، سنقصر متابعتنا واهتمامنا في بحثنا هذا على ولع ابن عباس بالشعر ، وعلى عنايته به من حيث هو تعبير ، وصوت وجدان ، وصدى عاطفة ، حفظاً ، وسماعاً ، ورواية ، وتقويماً الخ . فسنحاول ، إذن ، بما توافر لدينا من أخبار وروايات تحمل بعض الأحداث والشواهد والتفاصيل ، أن نبني تصوراً معقولاً ومقبولاً عن صلات ابن عباس بالشعراء ، وعن مواقفه من أغراض الشعر ، وعن حقيقة تطورات وتفاعلات موقع هذا الفن في ثقافته ووجدانه ، مستنديين ، في بعض الآراء أو الاستنتاجات التي توصلنا إليها ، إلى ماتوحي به تلك الأخبار والروايات نفسها من تمكن راسخ لعلاقة ابن عباس بالشعر . ونظن ، بناء عليه ، أن ماعثرنا عليه من روايات وأخبار ، في هذا المجال ، كاف إلى الحد المعقول لبناء ذلك التصور المطلوب ، في الحدود المتوخاة أو المتوقعة .

ومادام أن الشعر كان يشغل فعلاً حيزاً كبيراً من اهتمامات ابن عباس العلمية ومن نشاطاته وممارساته اليومية فإننا سنفترض - أن تلك الأخبار والروايات التي بين أيدينا ماهي سوى عينات ضيقة النطاق ، لماهي عليه ، واقعاً ، حقيقة تطورات وتفاعلات علاقة ابن عباس بالشعر ، فهي - أي تلك الأخبار والروايات - مجرد مؤشرات ، لها إمكاناتها المحدودة ، ولكنها في الوقت ذاته إمكانات مقبولة من حيث الدلالة على واقع أكثر ثراء . أي أنه قد حدث في حياة ابن عباس ، لاشك ، كثير مما هو مثلها أو أهم منها ، ولكنه لم يصل إلينا كل شيء ، نظراً لما أوضحناه قبل قليل .

وهذا الموقف نفسه سنطبقه على نظرتنا إلى ما استخدمناه في هذا البحث من تلك الأخبار والروايات من حيث صحتها وثبوتها ، فلأنه من المتعذر ، منهجياً ، التحقق تماماً من صحة تلك الروايات ، أو بعضها على الأقل فإننا سنأخذ بها من جانب أنها ، على أهون الاحتمالات ، مؤشرات إلى مزاج معقول اتسمت به علاقة ابن عباس بالشعر والشعراء ، وهو مزاج يتبادل مع الشهادات المتواترة المتكررة عن علم ابن عباس بالشعر واهتمامه به ، ولا يتناقض أبداً معها . فالروايات والأخبار التي سنلجأ إليها ، إذن ، هي روايات وأخبار منسجمة مع ما هو معروف عن ابن عباس بالتواتر ، وهي أيضاً متفقة مع الملاحظ العامة لما هو مشهود به له ، وهذا هو - في نظرنا - شفيعها الأول ، في عمومها ، من حيث قيمتها العلمية في بحث كهذا .

وليس في حدود علمنا أن أحداً قد أفرد لعلاقة ابن عباس بالشعر ، في الإطار الذي ذكرنا ، بحثاً مستقلاً بذاته ، محاولاً أن يستقصي ما روى أو نقل في هذا المجال ، بهدف الخلوص إلى صورة نهائية ، أو شبه نهائية ، عن أبعاد تلك العلاقة في حدودها وملاحمها المتوخاة . ونستثني من ذلك ما يرد أحياناً في بعض المؤلفات - الحديثة بالذات - من ذكر لبعض أخبار ابن عباس مع الشعر والشعراء مما يخدم أغراضاً أخرى غير أغراض استقصاء علاقة ابن عباس بالشعر والشعراء .

إننا ، هكذا ، سنحاول في هذا البحث أن نستقصي ، ما أمكن ، الأخبار والروايات ، المتاحة ، التي تناول علاقة ابن عباس بالشعر ، أو تتعرض لصلاته بالشعراء ، أو تشير إلى بعض مواقفه من أغراض الشعر وفنونه .

سنحاول تلك الأخبار والروايات ، وسنمضي معها إلى أقصى ما يمكن أن تفضي بنا إليه من استنتاجات واستقرات نعتقد أنها ستخدم - إن شاء الله - غايات هذا البحث وأغراضه .

الوشيجة وحمية الصلة

لاشك إن الملمح الأكثر وضوحاً في علاقة ابن عباس رضي الله عنه بالشعر هو تسخيره هذا الفن أو توظيفه إياه في خدمة التأويل (مشروعه في التفسير) حيث اللجوء إلى الشعر في تأويل الغريب . حدث سعيد بن جبير ويوسف بن مهران : «أن ابن عباس كان يسأل عن القرآن كثيراً فيقول : هو كذا وكذا ، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا» (٨) .

وعن عبدالله بن عبدالله بن عتبة ، عن ابن عباس : «أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر» (٩) .

وعن عكرمة أن ابن عباس قال : «إذا سئلت عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر» (١٠) .

ويورد المبرد حكاية عن أبي عبيدة تقول : «إنه مما سأله - أي نافع بن الأزرق - عنه : «الم ذلك الكتاب» فقال ابن عباس : تأويله : هذا القرآن هكذا جاء . قال أبو عبيدة : ولا احفظ عليه شاهداً عن ابن عباس ، وأنا أحسبه لم يقبله إلا بشاهد» (١١) .

أجل ! . . لقد ظهرت الملامح الأوضح لعلاقة ابن عباس بالشعر في هذا النوع من الممارسات العلمية المنهجية .

والعلاقة ، على هذا النحو ، تبدو موضوعية ، وهي ربما اتصفت ، لأول وهلة ، بالجفاف ، فهي لا تشترط بالضرورة أية حميمية في الصلة ، وإنما تستدرجها أغراض علمية محضة بالدرجة الأولى . فأخبار ابن عباس المتصلة بالشعر ، والشهادات التي تدور حول علاقته به ، إنما تصب ، في غالبيتها ، في هذا الجدول ، أو تنجبه هذا الاتجاه . فأكثر ما كان يهم الرواة ، فيما يبدو ، هو هذا الجانب ، أو هذا الوجه ، من علاقة ابن عباس بشعر العرب ، وهم في ذلك غير ملمومين ، نظراً لما دار من جدل وخلاف حول هذه المسألة في حياة ابن عباس وبعد مماته ^(١٢) ، ونظراً للأهمية الخاصة التي تكتسبها الأخبار المتعلقة بذلك ، بحكم علاقتها بمنهج ابن عباس في التفسير ، وبعلم القرآن الأخرى ، وبحكم مانتج عن كل ذلك من تداخل وتفاعل بين «الأدبي» و «الشرعي» ، انعكست إيجابياته على مستقبل الثقافة العربية برمتها .

وموضوع اللجوء إلى الشعر في تأويل الغريب هو موضوع آخر يستحق بحثاً مستقلاً يقتصر عليه كما مر بنا ، وإن ما يهمنا نحن هنا هو العلاقة مافوق الموضوعية ، أو مافوق العلمية ، أي العلاقة العاطفية ، التذوقية ، الذاتية ، التي لم تقم بالضرورة لأغراض علمية محضة .

ولا يمكن أن نظن أن علاقة ابن عباس بالشعر ، مهما استأثرت بمعظم وهجها مشروعه العلمي في التفسير ، كانت مجرد علاقة جافة ، خالية من أية وشيجة عاطفية إنسانية ذاتية ، هي التي كان لها ، أصلاً ، دورها الذي لا يجحد في خلق الخيط السحري الذي ربط ، في الأساس ، الصانع في ذلك المشروع (ابن عباس) بالأداة (الشعر) ، وهو مأثرى فيما بعد ذلك المشروع وساعد في التهيئة لإنجازه . إن من منطق الأشياء ، إذن أن تكون تلك الوشيجة العاطفية الإنسانية الذاتية ، بين ابن عباس والشعر ، في أحسن أوضاعها وأفضل مستوياتها .

إن الشعر عند ابن عباس لم يكن في هامش وعيه ، بل ظل دائماً في البؤرة منه . وهذا وضع يفترض - بدوره - أن يكون هناك قدر من الحميمية الخاصة التي تربط بين الطرفين ، وتصبغ العلاقة بينهما ، وتلونهما ، وتبهها مذاقها الخاص . فإذا أضيف إلى ذلك مستوى النتائج التي توصل إليها ابن عباس في «مشروعه» العلمي ، كان ذلك يعني تعزيزاً تلقائياً إضافياً لحميمية الصلة .

الشعر ديوان العرب

لقد كان ابن عباس من أجدر من يعطي للشعر العربي المنزلة التي هو قمين بها : «ديوان العرب» ^(١٣) ومجمع علمهم . فهو ، إلى جانب القيم الفنية والجمالية التي تشكل جزءاً أساساً في بنيته ، ومبرراً أصيلاً لوجوده ، وتميزه عما سواه من أشكال القول الأخرى ، يُعَدُّ بالنسبة إلى العرب بالذات ، باعتبارهم أمة لم تعرف التاريخ المكتوب عموماً قبل الإسلام ، سجلاً حافلاً للأحداث التي مرت بهم ولوقائعهم ، وأيامهم

ولغتهم وأحسابهم وأنسابهم ، ولهذا قيل :

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به والشعر أفخر ما ينبغي عن الكرم
لولا مقال زهير في قصائده ما كنت تعرف جوداً كان في هرم^(١٤)

فالشعر إذن «علم قوم لم يكن لهم علم سواه» ، ولقد استطاع مشروع ابن عباس في التفسير أن يؤكد هذه الحقيقة ويدعمها ، لاسيما في مجال اللغة . إذ كان ابن عباس نفسه خير من أدرك أن الشعر هو بالفعل ، وعاء اللغة في صفاتها ونقائنها ومثالياتها . وانطلاقاً من جهوده ، وتجاربه ، ونتائجه التي توصل إليها ، زاد تنبّه العرب إلى هذه الحقيقة فجمعوا الشعر ، ودونوه ، وعكفوا على دراسته^(١٥) .

لقد ظل ابن عباس يحض على شيء من هذا في أقواله حول الشعر ، أي حين يردد في مناسبات مختلفة بأن «الشعر ديوان العرب» ويزيد فيضيف : «فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فاثمنا معرفة ذلك منه»^(١٦) وحين يقول أيضاً : «إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي»^(١٧) وحين يقول كذلك : «إذا سألت عن شيء من غريب القرآن فاثمسه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»^(١٨) .

إنه هنا إلى جانب أنه يكشف لنا عن مفتاح منهجه في التفسير ، يعطي لشعر العرب منزلة ، لاسيما العلمية ، التي هو حري بها ، فيحرص على تعلّمه ، والمحافظة عليه ، والعودة إليه . فهو قاموس العرب الأول ، ومعجمهم الفريد ، في وقت لم يكن لهم فيه من قاموس آخر غيره ، أو معجم بديل سواه .

يلجأ إلى الشعر في غير التفسير

لقد قلنا بأننا لن نتعرض في هذا البحث إلى مسألة الشعر في منهج ابن عباس في التفسير ، ولكننا سنذكر بأن ابن عباس الذي يدرك حقيقة ذلك الثراء في شعر العرب ، لم يفد منه ، أو يلجأ إليه ، في مسألة التأويل أو التفسير فحسب ، على الرغم من استئثار هذا الجانب بالنصيب الأوفر من اهتمامه وجهده ، بل لقد كان يلجأ إلى الشعر في غير ذلك الأمر . فهناك بعض الأخبار التي تشير إلى أنه رضي الله عنه كان يجعل من الشعر مرجعاً مهماً ، له مصداقيته ، في التاريخ ، وفي غيره ، ليس فقط بالنسبة إلى أمور ذات صلة بالجاهلية التي لم تعرف الكتابة ، في صورتها النشطة على الأقل ، بل حتى في أمور ذات صلة ببدايات الإسلام الأولى التي مازال يعيشها الناس ، ومنهم ابن عباس نفسه .

ومن ذلك أن الشعبي يقول : «سألت ابن عباس : أي الناس كان أول إسلاماً ؟ قال : أبو بكر الصديق . ألم تسمع قول حسان :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أحوالك أبا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدها إلّا النبي ، وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي محمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا»^(١٩)

إن ابن عباس يلجأ إلى الشعر هنا في مسألة تاريخية بحتة ، فهو يبحث فيه عن الشاهد أو الدليل . أو أنه بمعنى آخر ، يترك للشعر ذاته مهمة نقل المعلومة التي احتاج إليها الشعبي . إنه هكذا يدعم الشعر إذ يعطيه حق الكلام قبل أي شيء آخر ، وإذ يمنحه في الوقت نفسه البراءة حول مصداقيته . والشعر من جانبه ، هو الآخر ، يدعم ابن عباس ، ويسعفه بما يريد ، فيمنحه الشاهد ، ويقدم بين يديه الدليل ، على أمر يعرفه حقاً سلفاً ، وهو من كان في الناس أول إسلاماً .

ومثل هذا اللجوء إلى الشعر يتكرر عند ابن عباس في أمور تتعلق بما هو فوق التاريخ ، وما هو فوق الطبيعة ، ونعني مسألة العرش ، وعند مَنْ ؟ عند مَنْ هو أعلم من الشعر ، ومن ابن عباس نفسه ، ونعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي لا ينكر ذلك بل «يتسم كالمصدق له» .
ففي رواية أن ابن عباس رضي الله عنه قال : «أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم أبياتاً لأمية بن أبي الصلت يذكر فيها حملة العرش ، وهي :

رجل وثور تحت رجل يمينه	والنسر للأخرى وليث مُرْصَد (٢٠)
والشمس تطلع كل آخر ليلة	فجراً ويصبح لوها يتوقد
تبدو فماتبدو لهم في وقتها	إلا معذبة وإلا تُجلد

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم كالمصدق له» (٢١)

وفي خبر آخر ، قال السيوطي : (٢٢) «دخل ابن عباس على معاوية وعنده عمرو بن العاص ، فقال عمرو : إن قريشاً تزعم أنك (أي ابن عباس) أعلمها ، فلم سميت قريش قريشاً ؟ قال : بأمر بين . قال : فسر لنا . ففسره . قال : وهل قال أحد فيه شعراً ؟ قال : نعم . قال : سميت قريش بدابة في البحر ، وقد قال المشمرخ بن عمر الحميري :

وقريش هي التي تسكن البحر	بها سميت قريش قريشاً
تأكل السمك والسمين ولاتنسا	رك فيك لذي الجناحين ريشاً
هكذا في البلاد حي قريش	ياكلون البلاد أكلأ هميشاً
ولهم آخر الزمان نبني	يكثر القتل فيهم والخموشا
تملأ الأرض خيليه ورجاله	يعشرون المطي حشراً كشيشاً

فعلى الرغم من أن عمرو بن العاص كان يقف أمام رجل يزعم قومه أنه أعلمهم ، وأن مايقوله - بناء عليه - يفترض فيه الصدق والصحة ، فهو موثوق به للثقة في علمه ، إلا أن عمرًا لم يجد بداً من استدراج ابن عباس إلى ساحة الشعر ، ربما لأنه كان يريد أن يسمع في ذلك غير مقالته ابن عباس ، أي إن كان شعر العرب قد احتفى بهذه التسمية فسجلها وخلدها ، وربما لأنه كان يطلب فعلاً الدليل أو الشاهد في الشعر كي يزداد قلبه اطمئناناً إلى مقالته ابن عباس . وقد فعل هذا ما أرادته منه عمرو بن العاص .

ولا ندري إن كان ابن عباس يحفظ ذلك الشعر دليلاً أو شاهداً على معلومة يعرفها سلفاً من دون الشعر ، أو أن الشعر نفسه كان هو مرجعه الأصلي الذي استقى منه تلك المعلومة ، فهو لم يكن يعرفها قبل أن يستمع إلى شعر المشمرخ بن عمر الحميري .

وفي كلتا الحالين فإن الشعر هكذا ، عند ابن عباس ، «ديوان العرب» فعلاً ، وعلمهم الذي لم يكن لهم من علم سواه ، فهو لم يطلق عليه صفة «ديوان العرب» دون اختبار مباشر لصحة تلك الصفة ولدى مطابقتها لواقع الشعر بالنسبة إلى العرب ، وإلى حضارتهم وتاريخهم ولغتهم .

إن الشعر على هذا النحو لم يكن يلجأ إليه ابن عباس في مجال التفسير وتأويل غريب القرآن فحسب ولكنه كان يلجأ إليه في معارف أخرى غير ذلك .

ينشئ الشعر ويتمثل به ويسعى إلى تعلمه

إن تلك القيمة العلمية للشعر ، هي ، موضوعياً ، من أبرز الأمور التي شددت ابن عباس إليه ، ودفعته إلى الخوض على رعايته ، وصيانيته ، وحمايته من الضياع . تسندها دون أدنى شك - كما ذكرنا سابقاً - عاطفة خاصة راسخة ووشيجة إنسانية محضة ثابتة ، تتعلق بذائقة ابن عباس نفسه ، من حيث هو ولع بالشعر ، كلف به ، منساق إليه . تلك الذائقة التي يذهب البعض في تصويرها إلى درجة الاعتقاد بأن ابن عباس ذاته كان منشئاً للشعر .

ففي رواية أن ابن عباس رضي الله عنه حين فقد بصره ، في أخريات عمره ، أنشأ شعراً حوّل فيه تلك المصيبة ، التي حلت به ، إلى نعمة ، إذ يقول :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكسي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور (٢٣)

وفي قصة أخرى أن ابن عباس أنشأ شعراً آخر هو :

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى واعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكر من في حاجة لم يجد بها سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجّت بمالي همه من مقامه وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل عليّ بظنه بي الخير إني للذي ظن شاكر (٢٤)

وقيل إنه ، وهو في طريقه من البصرة إلى مكة ، كان يخلدو الإبل ويقول :

أولي إلى أهـلك ياربـاب أولي فقد هان لك الإياب (٢٥)

إن البتّ القاطع في صحة نسبة هذه الأبيات إلى ابن عباس من عدمها يبدو ، من وجهة نظر منهجية علمية ، أمراً صعباً ، لكننا لا نرى بأساً في أن يُقاد النظر إليها ، أو الحوار معها ، ضمن السياق البسيط التالي : وهو أنه من الممكن أن نفترض أن إنشاء مثل تلك الأبيات ، بالنظر إلى تواضع فكرتها ، وبساطة صورها وأخيالتها ، واعتيادية بنائها العام ، لا يتطلب موهبة فذة ، أو استعداداً فطرياً خاصاً ، فهو

ليس بالعسير على أي عربي ، فما بالك بابن عباس ، وهو المشهود له بالبلاغة والفصاحة والعلم بالشعر وحبّه وتذوقه .

ليس هناك ، إذن ، ما يمنع أن يكون ابن عباس هو قائل تلك الأبيات في زمن كان الشعر فيه هو المتسيد على أنواع التعبير الأخرى . إننا ، في النتيجة ، لسنا أمام نص شعري بالغ التعقيد ، حافل بالصراع ، بحيث لا يتأتى إلّا لدى باع ، أو صاحب ذراع ، في صناعة الشعر .

وإنه للذي يهمنّا أكثر فأكثر هنا ، وبعد هذا وقبله ، سواء قال هذا الأبيات ابن عباس فعلاً أو لم يقلها ، هو المتخيل من حميمية ابن عباس مع فن الشعر ، وهو مستوى متقدم من مستويات العلاقة ، أو الوشيجة الشخصية ، التي تربط ابن عباس بالشعر ، صدى لعاطفة وصوتاً لوجدان . فهذا المتخيل لم يدفع أحداً ، فيما نعرف ، إلى إنكار ، قول الشعر على ابن عباس ، مهما كان حجم أو وزن ما روي عنه في هذا الشأن ، وإنما ينطبق عليه رضي الله عنه ما ينطبق على بقية كبار الصحابة ، بمقتضى ما أورده القرطبي ، من أنه «ليس أحد من كبار الصحابة ، وأهل العلم ، وموضوع القدوة إلّا وقد قال الشعر ، أو تمثل به ، أو سمعه ، فرضيه ما كان حكمة أو مباحاً ، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى» (٢٦) .

إن هذا المتخيل أيضاً من حميمية الرابطة بين ابن عباس والشعر هو الذي ، في نوع آخر من العلاقة ، ينسجم تمام الانسجام مع ما عرف عنه رضي الله عنه من تأثر بالشعر وتفاعل معه . فمن أقل ما يمكن أن يلاحظ في هذا السياق أن ابن عباس كان من شدة تأثره بالشعر يحزن ويضطرب له .

ففي رواية عن أبي مليكة قال : « رأيتهم (يعني بني أمية) يتتابعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز ، فذهبت معهم ، وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه ، فقال له عبيد بن عمير : مالي أراك تذرف عيناك ؟ فقال له : إن هذا (يعني عبد الرحمن بن الحكم) قال بيتاً أبكاني وهو :

ما كنت أخشى أن ترى السدل نسوتي وعبد مناف لم تغلها الغوائل
فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية ، وإنّا إنما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل . . » (٢٧) .

وليس هذا بأقل من تمثل ابن عباس بالشعر . والمقصود هو حالة اللجوء إلى ذاكرة الشعر ، أو ، بعبارة أخرى ، المحفوظ منه ، للبوح ، أو لتجسيد حالة أو موقف ، بحيث يستعير المرء صوت الشاعر ، فيأخذ من فنه ما يراه كفيلاً بالتعبير عما في نفسه ، أو على الأقل الكناية عنه . وهو أسلوب عرفه العرب منذ القديم ، إذ كثيراً ما يلجأون إلى ما يحفظون من الشعر لإنابته عنهم فيما يريدون قوله ، تماماً كما يفعلون ذلك بغرض البحث عن قرينه أو شاهد يدعم الرأي أو يقوي الحجة . وكأنّ اللجوء إلى الشعر - عندهم - يعطي وهجاً خاصاً للتعبير عن الحالة أو الموقف ، أو أنه يهب «مصادقية» بعينها للرأي والحجة .

وفي هذه المسؤولية التي يتحملها الشعراء ما يجعل لرؤيتهم ، حول العلاقة بالكون والحياة والأشياء ، ثقلاً خاصاً يبرر - عند العرب - الرجوع إلى أقوالهم ، أو اللجوء إليها .

وابن عباس كان - طبعاً - واحداً من هؤلاء العرب ، وليس له إلا أن يفعل مايفعله العرب . فهو يتمثل بالشعر في بعض المواقف تعبيراً عن حالة ، أو بحثاً عن قرينه ، أو طلباً لشاهد ، يضيء الحالة ، أو يدعم الرأي ، أو يقوي الحجة ، معطياً للشعراء هو الآخر حقهم في تميز الرؤية ونقائنها ، بصفتهم من المهووبين ، ومن أصحاب الشفافية والإبداع - وهو بهذا ، يكرس ، هنا أيضاً ، صورة من صورة وشيخته الشخصية بالشعر ، وشكلاً من أشكال الحميمية التي تربطه به . فهذا الشعر إنما يعيش في ذاكرته ، وإنما يتحرك حياً نشطاً في وجدانه . إنه حاضر حين يطلبه ، موجود حين ينوي اللجوء إليه ، في طربه وفي حزنه ، كما في تطلعه ، أو توفه ، أو طموحه .

فمن أخبار ابن عباس في هذا الصدد ما يرويه المدائني من أن عبدالله بن عباس وفد إلى معاوية ، فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزبه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رحب به وأكرمه وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزي لا المهني ، ثم ذكر الحسن ، فقال : رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك ، وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس ! ثم (تمثل) :

مغاض عن العوراء لا ينطقوا بها وأصل وراثات الخسوم الأوائل (٢٨)

أما موقفه من ابن الزبير فإن الرواية تقول : «بأنه قد تمنى أن يكون له الملك على أرض الحرمين ، عندما ضمه مجلس - بقدر الله - مع عبدالله بن مروان ، وأخويه مصعب وعروة ابني الزبير عند الكعبة وطلب كل منهم من الله ما يتمناه ، ولكن أنى لهذه الأمنية أن تتحقق ، وهو لا يستطيع أن يطلب هذا الأمر لنفسه ، والحسين بن علي معه في مكة ، لذلك رأيناه يحاول اقناع الحسين بالخروج إلى الكوفة ، وعندما يخرج ترجمان القرآن من عند الحسين وهو يائس من اقناعه ، مدرك لهذه الحقيقة يمر بأبي الزبير فيقول له : «قرت عينك يا ابن الزبير» ثم يتمثل :

يا لك من قُنْبُرة بمَعْمُورٍ خلا لك الجو فبِضي واصفـري

وَنَقَّرِي ماشئت أن تنقـري

هذا الحسين يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز» (٢٩)

ويرى أن ابن عباس اختلف وعمرو بن العاص عند معاوية . فقال ابن عباس : ألا أغنيك . قال : بلى ! فأنشده :

والشمس تغرب كل آخر ليلـة في عين ذي حُلْب وثأط حَرْمَد (٣٠) .

إن في لجوء ابن عباس إلى الشعر للإيحاء ، أو الكناية ، أو إضاءة حالة ، تأكيداً لرؤيته الخاصة المتعلقة بالشعر . وإنه لا يختلف في ذلك - كما قلنا - عن غيره من العرب الآخرين ، الذين يتمثلون

بالشعر ، ويلجأون إليه حين تقتضي الحاجة ذلك ، ولكن إذا ما تذكرنا مجمل الصلة التي تربط ابن عباس بالشعر ، لم نستطع أن نفلت من أن ننسب هذا اللجوء المتكرر إلى الشعر إلى المستوى المتقدم لحميمية تلك الصلة . وإذا وضعنا في الاعتبار حدة بصيرة ابن عباس ، ونفاذ حاسته ، وقوة ذائقته ، وقدرته على نقد الشعر وتقويمه ، كان لذلك التمثل ، منه بالذات ، طعمه الخاص ، وقيمتها الخاصة أيضاً . فهو لا بد أن يكون قد جاء في مكانه الملائم ، وهو لا بد أن يكون قد أتى محملاً بالعديد من المعاني والدلالات ، بعد أن يكون قد مرّ في خياله - رضي الله عنه - بما يستحقه من اختبار وانتقاء . وهذا كله يضاف إلى رصيد ابن عباس في سلطته على الشعر : تقويماً ، واختياراً ، وانتقاءً ، وسرياناً على اللسان . فهو ينظر إليه من خارجه ، عندما ينقده ويفاضل بين شعرائه كما سيأتي ، وهو يعيشه من الداخل ، عندما يلجأ إليه ، ويتمثل به .

إن ابن عباس الذي يطرب للشعر ويحزن له ، ويحبه ، ويتذوقه ، ويتمثل به ، سيكون من القلائل ، في تلك المرحلة ، الذين عبروا عن ذلك بالسعي إلى تعلمه والسؤال عن جديده . لقد نقلت إلينا بعض الأخبار أنه كان يسأل عن شعر عمر بن أبي ربيعة ، فهو دائم القول : «هل أحدث هذا المغيري شيئاً بعدنا» (٣١) .

وفي حال القبول بهذا الخبر لا بد أن نتوقع أن ابن عباس كان يفعل مثل ذلك بالنسبة إلى شعراء آخرين غير عمر بن أبي ربيعة ، فيسأل عن جديدهم ، يحاط به علماً ، ويستزيد ، من خلاله ، معرفة بتطور الشعر والشاعر . ولابد ، بعد هذا ، أن نلاحظ مانعده أمراً هاماً في صيغة سؤال ابن عباس عن «جديد» عمر بن أبي ربيعة ، فهو يسأل عما أحدثه الشاعر «بعده» ، أي أنه كان على علم بما كان قبل ذلك ، وهو ما يعني أن ابن عباس كان من المتابعين لإنتاج الشاعر ، ومن الحريصين على تقصيه ، هذا فضلاً عما يمكن أن يتضمنه كل ذلك من معاني الإعجاب بالموهبة والإبداع عند ابن أبي ربيعة ، وهذا ما سيأتي ذكره بعد قليل .

أما في مسألة تعلّم الشعر تحديداً فقد أخرج الحاكم عن يحيى بن سعيد قال : «سمعت عجبوا من الأنصار تقول : رأيت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يختلف إلى صرمة بن قيس يتعلّم منه هذه الأبيات :

يذكر لو ألفى صديقاً مواتياً
فلم ير من يؤوي ولم ير داعياً
وأصبح مسروراً بطيبة راضياً
بعيد وما يخشى من الناس باغياً
وأنفسنا عند الوغى والتأسي
بحق وإن كان الحبيب المواتياً
وأن كتاب الله أصبح هادياً (٣٢)

ثوى في قرش بضع عشرة حجة
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلما أتانا واستقرت به النوى
وأصبح ما يخشى ظلاماً ظالم
بدلنا له الأموال من حل مالنا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم
ونعلم أن الله لاشيء غيو

ولا ندري أي شيء بالتحديد كان يريد أن يتعلمه ابن عباس وهو يختلف إلى صرمة بن قيس . فلا عدد الأبيات المذكورة أعلاه ، ولا حجم قيمتها الشعرية ، يدعوان إلى كل ذلك أو شيء منه . وما نظنه ، بالأحرى ، هو أن ابن عباس ، إذا تأكدت بالفعل مسألة زيارته لصرمة بن قيس ، لم يكن ، ليكتفي بتعلم تلك الأبيات فقط ، بل إنه في الأرجح قد تعلم من صرمة هذا الشعر وغيره من الأشعار . أما إذا لم يكن الأمر كذلك ، فإن هذا يعني أن الرواية نفسها يشوبها بعض الغموض ، فيكفينا هنا معنى أن ابن عباس كان يتجشم الانتقال إلى صرمة ، ويعوده في في داره ، ولو لمرة واحدة ، من أجل أن يتعلم منه هذه الأضمومة الشعرية القليلة ، أو هذا «النص» الشعري . وهو نص ، مهما كان متواضعاً فنياً ، إلا أنه ، في كل الأحوال ، يحمل معاني لها أهميتها بالنسبة إلى ابن عباس ، وبالنسبة إلى الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وبالنسبة إلى المرحلة كلها . فهو يعرض لقصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع مشركي مكة ، وما كان من هجرته إلى المدينة ، ومن ثم انتصار أهلها له . إن ابن عباس يدرك ما لهذا الشعر من قيمة تاريخية ، وأبعاد نفسية وعاطفية ، فهو يسجل لإحدى نقاط التحول الهامة الحاسمة في مسيرة «الدعوة» ، وهي هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . وهو ، في الوقت ذاته ، يكشف ما واجهه النبي من عناء ، ومالقيه صحابته رضوان الله عليهم من أذى ، ثم ، تحديداً ، ما قدمه الأنصار من بذل وتضحية ، من أجل احتضان الدعوة وتعزيدها .

إن ابن عباس يعرف ماثل هذا الشعر من قيمة تاريخية بالنسبة إلى الدعوة ، ومن بعد عاطفي ووجداني بالنسبة إلى الرجال المؤمنين الذين كابدوا ، وجاهدوا ، ولاقوا المحنة والأذى . ويتضح ، أكثر فأكثر ، موقفه هذا من ذلك النوع من الشعر حين نرى ما كان منه رضي الله عنه حيال شاعر مثل حسان بن ثابت الأنصاري ، ففي رواية عن سعيد بن جبيرة أنه قال : «كان عند ابن عباس فجاء حسان فقالوا : قد جان اللعين ! فقال ابن عباس : ما هو بلعين لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده» (٣٣) .

لاشك أن ابن عباس من خير من يقدر ثقل حسان بن ثابت ، وأهميته ، وقيمة شعره وتأثيره ، سابقاً : حين كان الصراع محتدماً مع المشركين ، وحين كانت المواجهة في حاجة إلى الهجاء . ولاحقاً : حين يظل شعر حسان يتردد في أحياء العرب وهو الشعر الذي يطري النبي وصحابته ، منوهاً بكفاحهم ، مشيداً بصبرهم ، وجهادهم ، وبالبلاء العظيم الذي أبلوه .

إن ابن عباس ، في موقفه هذا ، لا يريد فقط أن يذكر الناس بحق حسان بن ثابت وفضله في جهاد المشركين إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرب والمحنة ، ولكنه يريد أيضاً أن يكرس أهمية الشاعر ، وأهمية شعره ، فلا ينصرف الناس عنه حتى بعد إنجلاء الغمة ، وحتى بعد ذهاب دواعي الحرب والفتنة ، وذلك لما لهذا الشعر من قيمة وتأثير مستمرين لا ينقطعان ، وهما القيمة والتأثير اللذان كان يدركهما ويقدرهما حق قدرهما الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وهو يكون فريقه من الشعراء ،

وفي مقدمتهم حسان نفسه ، للتصدي للمشركين ، وللترويج للإسلام ومبادئه .

أجل لقد كان ابن عباس ، يعرف المدى الحقيقي لتأثير الشعر على العرب ، ولسريانه في عقولهم ووجداناتهم . وهو يريد لمثل هذا الشعر الذي يذكر مراحل الدعوة الدقيقة ، والذي يصرح ببذل الباذلين ، وجهاد المجاهدين ، البقاء والاستمرار . ومن هو ابن عباس غير ابن عم رسول الله ، وأحد فقهاء الدين ، والأمناء عليه . فالدعوة جزء أساسي من ذاته ، وهي كل عاطفته واحساسه .

هكذا يجب أن نتصور السياق الأصيل الذي يندرج فيه تطلع ابن عباس إلى تعلم ذلك الشعر من صرمة بن قيس ، وهكذا ، بالتالي ، يجب أن نحدد القياس الأولي لبعض مقومات ذائقة ابن عباس الأدبية ، وبعض عناصر الوشيجة الخاصة التي تربطه بالشعر .

يحفظ الشعر ويرويّه

إن تذوق ابن عباس الشعر ، وولعه به ، وحبّه له ، لا يدفعه ، كل ذلك ، إلى تعلمه والدفاع عن القيم المتضمنة فيه فقط ، بل يجعل منه - هو نفسه - راوية من روايته . ورواية الشعر هي ، في ذاتها ، علم ، وهي - فوق ذلك - فن خاص له شروطه ومتعته ، وما تلك المتعة إلا بعض أنواع التعبير عن حميمة الصلة بين ابن عباس وبين «كلام العرب» ، أو تراثهم ، أو فنههم الشعري .

فقد اشتهر عن ابن عباس ، بالفعل ، روايته الشعر . فكان يعرف بين أهل زمانه بأنه من أبرز من يضطلع بهذا العلم أو هذا الفن الخاص .

وفرق بين أن يستحضر ابن عباس ذاكرته ويستحثها ، من أجل غاية علمية في التأويل ، بحثاً عن الشاهد في تفسير الغريب ، وأن يستحضر تلك الذاكرة لأغراض أخرى ، كالمتعة المحضة ، أو الاستجابة لطلب من يقدر فيه علمه بالشعر ، وقدرته على حفظه وروايته .

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرف كل ذلك في ابن عباس ، فلا ينكره عليه ، بل على العكس ، يطلبه منه ، فهو يستنشده من شعر الشعراء الذين يأخذون باهتمامه وإعجابه .

ومن ذلك ، الخبر الذي يرويّه ابن عباس عن نفسه ، إذ قال له عمر : «أنشدني لأشعر شعرائكم ؟ قلت (أي ابن عباس) : ومن هو يأمرير المؤمنين ؟ قال زهير ، قلت : وكان كذلك ؟ قال : وكان لا يعاقل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه» (٣٤) .

وبغض النظر عن «ثقافة» هذا النوع من الحوار النقدية ، فإننا نلمس فيه معرفة عمراً أصلاً لما يسأل ابن عباس عنه ، ولما يرجو طلبه عنده . والشاهد ، على أي حال ، ليس هنا ، وإنما هو في أن عمر كان يريد ، بالأحرى ، أن يستنشده ابن عباس بعض شعر زهير ، لأنه كان يرى فيه رضي الله عنه راوية مجيداً للشعر عموماً ، وربما لشعر هذا الشاعر بالذات .

وقد قال عبد الله بن عتبة ، في مناسبة أخرى ، بعد أن عدّد خصال ابن عباس ، وأطرى علمه في الفقه والتأويل والمغازي والشعر : «وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً» (٣٥) .

ولا نظن أن عمر بن الخطاب كان الوحيد الذي يطلب إلى ابن عباس أن يروي له الشعر . فهو حتماً يواجه بأسئلة مماثلة من آخرين غير عمر . لأن من طبيعة الأمور ألا يكون ماحدث له مع عمر حادثة فريدة ، بل حادثة تتكرر ، نظراً لسمعة ابن عباس ، وصيته الذائع في حفظ الشعر وروايته ، والعلم به .

أما قصة ابن عباس مع نافع بن الأزرق ، وسؤالاته ، فهي من أقوى الشواهد على إحاطاته - رضي الله عنه - الشعرية ، أي على حفظه وروايته ، وعلى «تنوع» مايحفظ ومايروي من أشعار من حيث أزميتها ، ومن حيث أغراضها . وقد قال المبرد : «وروى الزبيريون أن نافعاً قال له (أي لابن عباس في نهاية تلك السؤالات) «ما رأيت أروى منك قط . فقال له ابن عباس : مارأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من علي» (٣٦) . وهكذا نلاحظ من هذا القول ، ومن مجمل ماسبق من أقوال ، أن مفهومي «الرواية» و «الحفظ» يتداخلان تداخلاً شديداً ، بحيث يمكن أن يأخذاً أحياناً معنى واحداً ، وذلك تجاوباً مع تداعي النسق المنطقي لما يمكن أن يفصيا إليه من دلالات فالرواية تقتضي ، بالضرورة ، الحفظ . والحفظ يحرض ، غالباً ، على الرواية . فكل راوٍ للشعر هو حافظ له بالضرورة ، وكل حافظ له يرويه في أغلب الأحيان . وهذه ، في النتيجة ، هي حال ابن عباس مع الشعر ، فهو يحفظه ، وهو يرويه .

ولن نهتم هنا إذن ، فيما يخص سؤالات نافع إلا بما ينسجم مع أطروحتنا المركزية في هذا البحث ، فلايعنينا ماهو متعلق بأهميتها ، أو قيمتها ، أو مركزها ، في منهج ابن عباس في التفسير ، أو في طريقته في اللجوء إلى الشعر في شرح الغريب ، فذاك موضوع آخر مستقل ، (قلنا ، في مقدمة هذا البحث ، بأننا لن نتعرض له) وسنقصر اهتمامنا في السطور التالية على مايمكن أن يلقي مزيداً من الضوء على حفظ ابن عباس الشعر وروايته (٣٧) ، وذلك من حيث تنوع مصادر الإجابات على تلك السؤالات ، ومن حيث تنوع أزميتها ، ومن حيث ، أخيراً ، شموليتها لأغراض الشعر المختلفة .

إن الشواهد الشعرية ، مما يرويه ابن عباس في إجاباته على سؤالات نافع ، تنتمي ، فعلاً ، إلى أزمنة تاريخية وحضارية مختلفة ، ففيها - مثلاً - الجاهلي ، وفيها - مثلاً - الإسلامي أيضاً . كما أنها تنتسب ، من حيث أغراضها ، إلى أكثر أغراض الشعر رواجاً ، كالمدح والهجاء والفخر والغزل ، وحتى الحمريات . وهي حتماً لا تغفل المعاني الدينية التي لايجد ابن عباس نفسه ، بحكم ثقافته الأساسية وبحكم موقعه من الدعوة ، إلا فيها ، فهو لا يمتح إلا من معينها .

ثم إن رواية ابن عباس للشعر ، بمقتضى تلك الإجابات ، لاتقتصر على شعر الرجال ، بل لقد شملت أيضاً شعر النساء .

وعليه فإن من أمثلة الشواهد الجاهلية :

قال نافع : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «وايتبعوا إليه الوسيلة» (٣٨) . (قال ابن عباس : الحاجة ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة العنسي وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخضبني (٣٩)
 وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «القانع والمعتز» (٤٠) .
 قال (ابن عباس) : القانع الذي يقنع بما يعطي ، والمعتز الذي يعترض الأبواب ، قال : وهل
 تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : (زهير بن أبي سلمى) .
 على مكنتهم حق من يعتزهم ————— وعند المقلين السماحة والبذل (٤١)
 وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل «وجفان كالجواني» (٤٢) . قال : جفان
 كالحياض تتسع الجفنة للجزور ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت طرفة بن
 العبد وهو يقول :

كالجواني لاتني وهي مترعة لقرى الأضياف أو للمختضر (٤٣)
ومن أمثلة شعر الإسلاميين :

إن نافعاً قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل «شرعة ومنهاج» (٤٤) .
 قال : الشرعة : الدين ، والمنهاج : الطريق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما
 سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول :
 لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام ديناً ومنهجاً
 قال : يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٥) .
 وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «فأجاءها المخاض» (٤٦) .
 قال : فأجأها المخاض إلى جذع النخلة . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ،
 أما سمعت الشاعر (حسان بن ثابت) وهو يقول :
 إذا شددننا شدة صادقة فاجأناكم إلى سفح الجبل (٤٧)
 وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «والله يؤيد بنصره من يشاء» (٤٨) ،
 قال : يقوي بنصره من يشاء ، قال فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت
 وهو يقول :

برجــــــــــــــــال لستم أمثــــــــــــــــالهم أيدوا جبريل نصراً فنزل (٤٩)
 وعلوننا يوم بدر بالتقــــــــــــــــى طاعة الله وتصديق الرسل
 أما أغلب الأغراض التي تنتمي إليها تلك الشواهد فهي :

الملاح :

قال (نافع) يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «يكاد سنا برقه يذهب الأبصار» (٥٠)
 قال : السنا الضوء الذي يدخل في الكوة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟
 قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول :
 يدعــــــــــــــــو إلى الحق لا يبغي به بدلاً يجلو بضوء سناه داجي الظلم (٥١)

وقال : (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «فيطمع الذي في قلبه مرض» (٥٢) .

قال : في قلبه الفجور وهو الزنى ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

حافظ للفرج راض بالتقى ليس ممن قلبه فيه مرض (٥٣)

ومن الهجاء :

قال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «شواظ من نار» (٥٤) .

قال : الشواظ اللهب الذي لادخان له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت وهو يقول :

ألا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب إلى عكـاظ
أليس أبوك فينا كان قيناً لدى القينات فسلاً في الحفاظ
يمانياً يظـل يشب كبيراً وينفـخ دائباً لهب الشواظ
فأجابه حسان بن ثابت :

أتاني عن أمي ثنا كلام وما هو في المغيب بذي حفاظ
ستأتيه قصائد محكمات وتنشـد بالجاز إلى عكـاظ
همزتك فاخـتضعت بذل لفظ بقافية تأجـج كالشواظ (٥٥)

وقال (نافع) يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : « بينا وبين حميم آن » (٥٦) . قال الآن الذي انتهى طبخه وحرّه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

وتخضب لحية غدرت وحنانت بأحر من نجيمع الخوف آن (٥٧)

ومن الفخر :

قال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «إذ تحسونهم بإذنه» (٥٨) . قال تقتلونهم بأمر محمد . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ومن السدى لاقى بسيف محمد فحس به الأعداء عرض العساكر (٥٩)

وقال أوس بن حجر :

فما غضبوا أننا نحس عليهم ولكن رأوا ناراً تحص وتسفع

وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «في الفلك المشحون» (٦٠) . قال : السفينة الموقرة الممتلئة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

شحننا أرضهم بالخيـل حتـى تركناها مـم أذل من الصراط (٦١)

ومن الغزل :

قال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «إذا أثمر وينعه» (٦٢) .
قال : نضجه وبلاغه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

إذا ما مشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبت يانع (٦٣)
وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «وأنتك لاتظمأ فيها ولا تضحى» (٦٤) .
قال : لا تعرف فيها من شدة حرّ الشمس ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر (عمر بن أبي ربيعة) وهو يقول :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر (٦٥)
وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «ولات حين مناص» (٦٦) . قال :
ليس بحين فرار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :
تذكرت ليلى حين لات تذكر وقد بنت عنها والمناص بعيد (٦٧)

ومن الشواهد التي قيلت في الأيام والمواقع :

قال (نافع) يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «إن عذابها كان غراماً» (٦٨) . قال :
عذاب جهنم بلاء ملازم شديد كلزوم الغريم للغريم . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت بشر بن أبي خازم وهو يقول :

ويوم النصار ويوم الجفار كان عذاباً وكانا غراماً (٦٩)
وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «وجوه يومئذ باسرة» (٧٠) . قال :
كالحة قاطبة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :
صبحنا تميماً غداة النصار بشبهاء ملمومة باسرة (٧١)

ومن الشعر الذي ورد فيه ذكر للخمر :

قال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «لا فيها غول» (٧٢) قال : يقول :
ليس فيها تنن ولا كراهية كخمر الدنيا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

رب كأس شربت لا غول فيها وسقيت النديم منها مزاجاً (٧٣)
وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «وحور عين» (٧٤) قال : الحوراء :
البيضاء المنعّمة ، وقال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :
وحور كأمثال الدمى ومناسف وماء وريحان وراح يُصنّع (٧٥)

وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «بمعجل حنيد» (٧٦) . قال :
الحنيد : النضيج مايشوى بالحجارة ، وقال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر

وهو يقول :

لهم راح وفــــــــــــــــار المسك فيهم وشاديهـم إذا شاءوا حنيــــــــــــــــذ (٧٧)

ومن شواهد المعاني الدينية :

قال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «جَدُّ رِبْنَا» (٧٨) قال : ارتفعت عظمة رِبْنَا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول :

لك الحمد والنعماء والملك رِبْنَا فلا شيء أعلى منك جداً وأمجداً (٧٩)

ملكك على عرش السماء مهيمـن لعزته تمنو الوجوه وتسجد

عليه حجاب النور والنور حوله وانهار نور حوله تتوقــــــــــــــــد

وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «الذين يؤمنون بالغيب» (٨٠) . قال :

ماغاب عنهم من أمر الجنة والنار . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان

بن الحارث وهو يقول :

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمد (٨١)

وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «وتجعلون له أنداداً» (٨٢) . قال :

الأنداد : الأشباه والأمثال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبید وهو يقول :

أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل (٨٣)

وقال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «بالأساء والضراء» (٨٤) قال :

الأساء : الخضب ، والضراء : الجذب . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زيد

بن عمرو وهو يقول :

إن الاله عزيز واسع حكم بكفه الضر والبأساء والنعـم (٨٥)

ومن شواهد الأحكام :

قال (نافع) : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : «الطلاق مرتان» (٨٦) هل كانت

العرب تعرف الطلاق ثلاثاً في الجاهلية ؟ قال : نعم ، كانت العرب تعرفه ثلاثاً باتاً ، ويحك يا ابن أم

الأزرق أما سمعت قول الأعشى وقد أخذه اختانه ، فقالوا : والله لانرفع عنك العصا أو تطلق أهلك ،

فإنك قد أضرت بها . فقال :

يا جارق بيني فإنك طالقــــــــه كذاك أمور الناس غاد وطارقه (٨٧)

فقالوا : والله لانرفع عنك العصا أو تشي لها الطلاق ، فقال :

بينـي فإن البين خير من العصا وإن لا تزال فوق رأسي بارقــــــــه

فقالوا : والله لانرفع عنك العصا أو تثلث لها الطلاق ، فقال :

وبيني حصان الفرج غير ذميــــــــمة ومومونة فينا كذاك واقعــــــــه

وذوق فتى حي فإني ذائقــــــــة فتاة أناس مثل ما أت ذائقــــــــه

سؤالات نافع ليس لها إلا أن تؤخذ دليلاً إيجابياً على ثراء المخزون الشعري عموماً عنده - رضي الله عنه - فهو يتعلم الشعر ، ويحفظه ، ويشكل جزءاً مهماً من ثقافته ، فيوظفه للبوح حيناً ، ويستمد منه الشاهد حيناً آخر ، هو صوت العاطفة وصدى الوجدان مرةً ، وهو الدليل والمرجعية الصادقة مرةً أخرى .

إن الشعر عند ابن عباس ، هكذا ، هو الشعر في قيمه الخاصة ، وفي مقوماته الذاتية ، فلا اعتبار كبير لموضوعه ، أو غرضه ، أو هوية منشئة ، ما دام يتوافر على عناصر الشعر وجمالياته ، ومادام لا يتناقض مع قيم المجتمع الجديد «ولم يكن فيه فحش ولا خنا ، ولا لمسلم أذى» .

إن الشعر عند ابن عباس ، باختصار ، هو إحدى لغاته في التعبير ، وهو إحدى وسائله في استخداماته العلمية ، ولهذا ظل أحد مدخراته الثقافية المهمة بلا منازع .

صلته بالشعراء

في جملة أخبار ابن عباس المتعلقة بالشعر ، نستطيع أن نعثر على ما يشير إلى أنه رضي الله عنه كان على صلة مباشرة ببعض شعراء عصره : يجالسهم ويستنشدهم ، ويحاورهم حول الشعر وبعض شؤونه وقضاياها .

ونستطيع أن نميز ، بمقتضى النظر إلى تلك الأخبار ، ثلاثة شعراء كانت لهم صلة واضحة بابن عباس ، وهم من مشارب شعرية مختلفة ، إذ اشتهر كل واحد منهم في غرض شعري بعينه ، وذلك إما من حيث وجه الإجابة فيه ، أو من حيث إن معظم نتاجه المأثور عنه كان يصب في ذلك الغرض ، أو أنه ، على الأقل ، عرف تاريخياً به ، بالنظر إلى طبيعة الدور الذى لعبه حسب مقتضيات مرحلته : فهذا عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل ، وهذا الحطيئة شاعر الهجاء ، وهذا حسان بن ثابت شاعر الحماسة ، أو الدفاع عن الإسلام . وثلاثتهم من أبرز شعراء زمانهم ، كل في فنه الذى عرف به . وقد كشفت لنا أخبار ابن عباس عن صلات ما ربطته بهم ، وهي في ظاهرها صلات أدبية محضة ، تتمحور حول الشعر ومسائله وشؤونه .

وما تلك الصلات بهؤلاء الشعراء ، ذوي المشارب الشعرية المختلفة ، إلا تعبير آخر عن تنوع الثقافة الشعرية عن ابن عباس نفسه ، وذلك من ناحية تذوقية وموضوعية . وهو تنوع يمس ، على حد سواء ، مصادر ذلك الشعر وأغراضه ، فهو - مرةً أخرى - يعدد في شعرائه الذين يهتم بهم ، وهو - مرةً أخرى أيضاً - يأخذ بالغزل ، ويأخذ بالهجاء ، ويأخذ بالحماسة وبما قيل في الدفاع عن الإسلام . والمهم قبل هذا وبعده هو «الشعر» نفسه ، من حيث هو فن ، وتعبير ، وشاهد على العصر والتاريخ والأحداث .

وسنرى ، فيما بعد ، أن هناك بعض التحفظات التي أعلنها ابن عباس ، حول بعض أنواع الشعر أو أغراضه ، ولكن تلك التحفظات ، كما هو واضح من أخبار صلته بالشعراء الثلاثة المذكورين ، لا تصدر أهمية الشاعر ، أو تلغي شاعريته ، أو تنفي قدراته ومؤهلاته الفنية التي تميزه .

إن تلك الأخبار المتعلقة بصلة ابن عباس ببعض الشعراء ، إضافة إلى ماتفضي إليه من تصور واضح لحجم الخطوة التي ينالها المهويون من الشعراء عند ابن عباس ، فإنها تشير صراحة إلى مدى تقديره لفنهم ، واعتداده بآرائهم في الشعر . وهذا في حد ذاته ، موقف من الصحابي الجليل له وزنه وأهميته ، بالنسبة إلى الشعر ، وبالنسبة إلى الشعراء ، في وقت كان فيه الشعر ، وكان فيه الشعراء ، في أمس الحاجة إلى المزيد من مواقف كهذه ، فالشعر ، على الرغم من كل شيء ، كان ما يزال ، في تلك المرحلة ، يتقاذفه بينهم «المحيزون» و «المتحرجون» إيجاباً وسلباً^(٩١) . أما الشعراء عموماً فما زالت صفة السفه الملحقة بهم ، وصفة «الغواية» الملصقة بمن اتبعهم ،^(٩٢) تطاردانهم ، لاسيما حين تكون المسألة غزل أو هجاء . وسيتضح شيء من هذا ، فيما بعد ، أثناء حوار نافع بين الأزرق مع ابن عباس حول شعر عمر بن أبي ربيعة .

وأيضاً فإن طبيعة الحوار الذي كان ينشأ بين ابن عباس وأولئك الشعراء تفضي ، فيما تفضي إليه ، إلى نتيجة واضحة ، وهي رغبة ابن عباس في «التعلم» من هؤلاء الشعراء ، أو بعبارة أخرى : الأخذ مباشرة ، فيما يتعلق بالشعر وشؤونه ، عن «أهل الصناعة» أنفسهم ، سواء بالاطلاع على إنتاجهم ، وتلقيه ، دون وسيط منهم ، أو بمعرفة آرائهم حول بعض مسائل الشعر وقضاياها . وابن عباس في كلتا الحالتين لن يجد ، بالفعل ، من يروي عطشه ، في هذا وذاك ، أكثر من الشعراء أنفسهم . فالشعر هو حرفتهم الأولى . هم يمدعون ، وهم ينشئون ، وآراؤهم فيه لها قيمتها ، ولها مشروعيتها ، ولها بعدها الخاص منهم ، بصفته أصحاب الكلمة الأولى في هذا الشأن .

وما هذا المستوى من الصلة المباشرة بين ابن عباس والشعراء إلا انعكاس طبعي ، في الوقت نفسه ، لحميميته القديمة مع الشعر ذاته ، فهو - كما سبق أن ذكرنا - يعيشه في وجدانه وعقله . وهو ما ينفك يلجأ إليه في بوحه وتجلياته وامتناعاته .

لقد نقلت إلينا بعض أخبار ابن عباس صلته بعمر بن أبي ربيعة ، وإقباله على شعره ، فلقد كان رضي الله عنه ، فيما تفيد تلك الأخبار ، يسأل عن شعر هذا الشاعر : «هل أحدث هذا المغيري شيئاً بعدنا»^(٩٣) . إن الكلمة المفتاح في تساؤل ابن عباس هذا هي كلمة «بعدنا» فابن عباس يستفسر بالتحديد عن جديد الشاعر ، فهو على علم بقدميه . كما أن صيغة التساؤل في مجملها لا تكشف فقط عن رغبة ابن عباس في معرفة ما أنشأه عمر من جديد ، ولكنها تكشف أيضاً عن رغبته في أن يصل الجديد بالقديم ، تأكيداً لمتابعته إنتاج الشاعر نتيجة جودة تميته .

إن تلك الكلمة المفتاح : «بعدنا» تقودنا أيضاً ، كما يهمننا هنا بالتحديد ، إلى تأكيد صلة ابن عباس بعمر بن أبي ربيعة ، فهو يسأل عما أنتجه الشاعر «بعده» ، أي بعد انقطاعه عنه بغياب أو سفر أو ماشابه ذلك ، مما يؤكد أن صلتهم أو لقاءهما ، بعيداً عن هذا الطارئ ، كانت متصلة وغير منقطعة .

ولكن هناك مواقف أخرى لابن عباس ، مع هذا الشاعر ، تتجاوز حدّ السؤال عن إنتاجه وحدّ سماعه والاصغاء إليه ، إلى مستوى حفظه عن ظهر قلب ، وذلك بطريقة كانت تدعو معاصري ابن عباس إلى الدهشة والعجب ، ليس فقط لسرعة حفظه ذلك الشعر ، ولكن حتماً لما يعكسه ذلك ، في شكل ما ، من إعجاب شديد بعمر وبما ينشيء من شعر . فمهما كانت قوة الحافظة التي يتمتع بها ابن عباس ، إلا أن الإعجاب نفسه يعد عاملاً حاسماً في إذكاء درجة الحفظ سرعة واتقاناً .

يروى المبرد^(٩٤) أن نافعاً بن الأزرق أتى ابن عباس يوماً ، فجعل يسأله حتى أمّله ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر ، فطلع عمر بن أبي ربيعة عليه ، وهو يومئذ غلام ، فسلم وجلس ، فقال له (ابن عباس) ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده .

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجـر^(٩٥)
حتى أتمها ، وهي ثمانون بيتاً . فقال له ابن الأزرق : لله أنت يا ابن عباس ! أنضرب إليك أكباد الإبل ، نسألك عن الدين فتعرض ، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه ؟! فقال : تالله ماسمعت سفهاً . فقال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزي وأما بالعشي فيخسر
فقال ابن عباس : ماهكذا قال ، إنما قال : « فيضحى وأما بالعشي فيخسر » قال : أو تحفظ الذي قال ؟ قال : والله ماسمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردّها لرددتها ! قال : فأرددها . فأنشده إياها كلها .

إن في هذه القصة ، إجمالاً ، بعض الدلالات التي تحسن الإشارة إليها هنا :
أولاً : إن عمر بن أبي ربيعة «الشاعر» هو من رواد مجلس ابن عباس وهو على صلة به ، وهذا من أكثر ما يهينا في هذه المرحلة من سياق بحثنا هذا .

ثانياً : إنه قد يبدو ، لأول وهلة ، أن ابن عباس إنما التجأ إلى عمر بن أبي ربيعة يستنشده شيئاً من شعره تخلصاً من نافع بن الأزرق ، أو هروباً منه بعد أن «أمّله وأضجره» . فهو لم يطلب الشعر حباً في الشعر ولكنه فعل ذلك ليشغل بشيء آخر غير حوار نافع وأسئلته . ولكن مثل هذا الظن لا يستقيم مع باقي القصة ، لأن ابن عباس ، ولعاً بالشعر في ذاته وفي جمالياته ، ينتهي بحفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة عن ظهر قلب .

ثالثاً : الانكار الصريح من نافع بن الأزرق على ابن عباس أن يعطى وقتاً للاستماع إلى شعر عمر بن أبي ربيعة ، أو «سفه» على حد تعبيره ، وفي هذا ما يوحي ببعض التذمر ، والاستخفاف ، للذين كان يواجههما الشعراء وشعرهم من بعض معاصري ابن عباس ، مما يدل على أن وضع الشعر ، ووضع الشعراء بالتالي ، لم يستقر بعد ، تمام الاستقرار ، في مجتمعهم الجديد .

رابعاً : لكن ابن عباس ، صديق الشعر ، يردّ على نافع مقسماً : «تالله ماسمعت سفهاً !» معلناً بذلك دفاعه الصريح عن الشعر والشاعر .

بل يزيد فيزيل «التشويه» الذي طال أحد أبيات القصيدة على لسان نافع .
 بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك في تبني قضية الشعر أمام نافع بن الأزرق ، فيعيد إنشاد
 القصيدة على مسامعه كاملة ، مؤكداً من جديد انخيازه لـ «الشعر» عموماً من حيث هو فن وتعبير ،
 ومعزراً إعجابه بشعر عمر بن أبي ربيعة خصوصاً من حيث إنه - في نظره - ليس بـ «سفه» بل إبداع
 وموهبة ، كاشفاً عن حافظة كانت مثار دهشة نافع بن الأزرق ، وهي ، حتماً ، كذلك بالنسبة إلى
 الآخرين ممن كانوا بالمجلس غيره .

ودفاع ابن عباس عن الشعر يرد مرة أخرى في مناسبة شبيهة ، فهو إذ ينفي عن الشعر «السفه»
 في القصة السابقة ، نراه يدفع عنه التهمة بأنه «من رفث القول» في قصة أخرى . فقد روى أن ابن عباس
 سئل : هل الشعر من رفث القول ؟ فقال : إنما الرفث عند النساء ، ثم أحرم للصلاة (٩٦) .
 وبالعودة إلى قوة الحافظة عند ابن عباس ، فإن المشهود به هو أنه ، بالفعل ، يحفظ الشعر عموماً
 بدرجة ملفتة للانتباه ، فلنتذكر أن نافعاً نفسه يقول عنه ، كما مر بنا : «ما رأيت أروى منك قط» (٩٧) . وقد
 كانت تأخذه - هو نفسه - الغربة ممن يسمعون (الشعر) فلا يحفظونه ، فيقول : «أومنكم من يسمع
 شيئاً ولا يحفظه» (٩٨) والمقصود هنا ، بحكم موضوع الرواية التي وردت فيها هذه العبارة وسياقها ، هو
 الشعر .

ومسألة حفظه رائية عمر بن أبي ربيعة المذكورة أعلاه ، وردت في أكثر من مصدر مثل : «صفة
 الصفوة» (٩٩) و«حلية الأولياء» (١٠٠) و«نكت الهميان» (١٠١) فهذه المصادر كلها تجمع على أنه حفظها
 في مرة واحدة .

وهناك قصة أخرى ، فيما يروى من صلة ابن عباس بعمر بن أبي ربيعة ، تشير ، إن صحّت ،
 إلى مستوى أبعد وأعقد في العلاقة بينهما . فهي ، فضلاً عما يمكن أن توحى به من محاولة لابن عباس
 في تجريب نظم الشعر حتى وإن لم يتعد ذلك عجزاً ليبت واحد ، تكشف ، من جانب ما ، التقاء
 الاثنين (ابن عباس وعمر) عند نقطة حادة جداً من الحدس الشعري . وفي رؤية ما قد يتخذ ذلك مؤشراً
 إلى إمكانية تفضي إلى اكتشاف متابعة لصيقة محتملة من ابن عباس لكيفية الولادات الشعرية ، وهيبتها ،
 وشكلها ، عند عمر بن أبي ربيعة ، أو ربما ، بمعنى آخر ، اتخذ ذلك شاهداً على معرفة ابن عباس ،
 معرفة دقيقة ، لتقنيات الشعر عند هذا الشاعر ، أي «نفسه» في الفكرة من حيث هي ، ثم ، بالتالي ،
 وسائله في اللغة ، وفي البناء ، وفي التركيب .

تقول القصة : «أقبل (ابن عباس) على ابن أبي ربيعة فقال : أنشد ! فأنشده :

تشط غداً دار جيراننا

وسكت ، فقال ابن عباس :

وللدار بعد غد أبعدُ

فقال له عمر : كذلك قلت أصلحك الله ، أسمعته ؟ ! قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي !» (١٠٢) .

إنه مهما كان للصدفة المحضة من دور في هذا الالتقاء ، إلا أن ذلك لا يقضي بخال ماتوحي به هذه القصة من مستوى متقدم في العلاقة . وهذا ، في شكل ما ، يمكن أن يعتبر أيضاً وجهاً من وجوه الوشيجة الشخصية الداخلية التي تربط ابن عباس بالشعر عموماً ، وشعر عمر ابن أبي ربيعة خصوصاً . إنها حميمية متقدمة مع الشعر فناً ومع عمر بن أبي ربيعة شاعراً .

أما الخطيئة فأول ما يصادفنا من أخباره مع ابن عباس ، ويبدو أنه أول لقاء بين الاثنين ، «أنه رآه في مجلس عمر وقد قرع بكلامه ، فقال : من هذا الذي نزل على القوم بسنه وعلاهم في قوله ، فقالوا هذا ابن عباس ، فأنشأ يقول :

إني وجدت بيان المرء نافلة يهدي له ووجدت العي كالصمم

المرء يبلى ويقيى الكلام سائرة وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم» (١٠٣)

وهو ، هكذا ، لقاء اتسم بالإعجاب بمواهب ابن عباس ، مما سيساعد ، حتماً ، لاحقاً في تهيئة أرضية مناسبة للصلة . ففي أخبار أخرى أن الخطيئة ، هو الآخر كانت له صلة بابن عباس .

لقد كان ممن التقاهم رضي الله عنه ، وناقشهم ، وحاورهم ، وسألهم ، كما يتضح ذلك - مثلاً - من القصة التالية : «عن ابن عباس أنه سأل الخطيئة من أشعر الناس من الماضين والباقيين فقال : إذن من الماضين فهو الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتقي الشتم يشتم» (١٠٤)

وما الذي يقول :

ولست بمستبق أحدا لا تلثمه على شعث ، أي الرجال المهذب» (١٠٥)

بدون ذلك . ولكن الضراعة أفسدته ، كما أفسدت جرولاً - يعني نفسه - والله يا ابن عباس لولا الجشع والطمع لكنت أشعر الماضين ، فأما الباقيون فلا شك أي أشعرهم» (١٠٦) وحسب ابن رشيقي (١٠٧) ، يقول له ابن عباس : «كذلك أنت يا أبا مليكة» أي أن الخطيئة كان بالفعل أشعر الباقيين في نظر ابن عباس أيضاً . وهذا مما يشير إلى أن صلته به لم تعد صلة طارئة أو عابرة ، ولكنها ، بالأحرى ، صلة متابعة ، فهو يقدر الخطيئة تقدير العارف بمواهب الشاعر فيه ، وتقدير المدرك لإمكانات الإبداع في إنتاجه ، إذ يقدمه على غيره من معاصريه من الشعراء ، رغم تحفظه على غرض الهجاء الذي عرف الخطيئة بقوته وإقذاعه فيه ، كما سيأتي .

إن حوار ابن عباس مع الخطيئة هو حوار المعتد بآراء محاوره ، فهو «أشعر الباقيين» ، وابن عباس يريد أن يستمع إلى رأيه في من يجد أنهم الأشعر في الماضين (١٠٨) . إن حكمه سيكون له أهميته الخاصة عند ابن عباس ، فهو لم يكن مجرد واحد من أصحاب «صناعة» الشعر ، بل إنه من أكثر هؤلاء تمكناً في تلك الصناعة ، ومن أشدهم رسوخاً في الحرفة .

إنه على الرغم مما قد يعترض بعض شعر الغزل من شبهات ، وعلى الرغم من تحفظ ابن عباس على بعض شعراء الهجاء ، لم يمنعه ذلك رضي الله عنه من أن تكون له صلة ببعض الشعراء الذين باتوا محسوبين على هذين الغرضين من الشعر . فالأنحياز هو ، بالأحرى ، إلى «الشعر» من حيث هو فن ، وتعبير ، وصدى لعاطفة ، وصوت لوجدان ، وهذان الشاعران (عمر والحطيئة) هما ، في النتيجة ، من أصحاب الموهبة ، والقدرة على الإبداع ، ولا يمنع إيفاهما في الهجاء أو الغزل أن يقدر فيهما رجل كابن عباس موهبتهما في الشعر وقدرتهما على الإبداع ، ولهذا تراه رضي الله عنه ، قبل قليل ، يقسم معلقاً على قصيدة عمر بن أبي ربيعة ، وهو يرد على نافع بن الأزرق : «تالله ماسمعت سفهاً» فالتقدير في نهاية الأمر - كما أئحنا - هو لحس عمر بن أبي ربيعة ، ولعبقريّة الإبداع عنده . وكذلك الحال بالنسبة إلى الحطيئة ، فعلى الرغم من انقياده للهجاء ، وتغلبه عليه ، لم يمنعه ذلك ابن عباس رضي الله عنه من أن يؤكد ماقاله الحطيئة عن نفسه من أنه «أشعر الباقيين» وأكثرهم مهارة ، وحقاً ، وذكاء ، في صناعة الشعر .

إن صلة ابن عباس بشعراء من صنف عمر بن أبي ربيعة والحطيئة ، لم تكن لتعارض أو تتناقض مع صلته بشاعر الإسلام حسان بن ثابت ، فالقاسم المشترك بين هؤلاء الثلاثة هو ، في النهاية ، «الشعر» الموهبة ، و«الشعر» الإبداع ، قدرة واستعداداً وإمكانات . على أننا لانشك في أن حسان ، بالذات ، كان يتمتع عنده رضي الله عنه بمنزلة خاصة تميزه ، عن غيره ، وذلك بالنظر إلى موقعه الهام من تاريخ الدعوة ، وتطور الرسالة ، فهو الذي جاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بسيفه ولسانه ، وهو الذي كان لشعره أشد الوقع على نفوس المشركين ، وأبلغ الأثر في قلوب المؤمنين الذين نصرّوا الدين .

فابن عباس يدافع عنه - كما مر بنا - عندما قالوا عنه «اللعين» ^(١٠٩) إذ يرد هذا الشتم ويدحضه ، منوهاً بفضل «شاعر الرسول» ، مؤكداً ذلك الفضل فلا يدع مجالاً لأحد بالتشكيك فيه . وهنا أيضاً انحياز إلى «الشعر» الموهبة و «الشعر» الإبداع عند حسان ، ولكننا نلمس - فوق ذلك - الوشيجة القوية التي تربط ابن عباس بنوعية إنتاج حسان ، من حيث غاياته وأهدافه . إن الموقع الذي يحتله شعر حسان من وجدان ابن عباس مختلف ، حتماً وبالضرورة ، عن موقع شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر الحطيئة .

ولكن ليس هذا وحده الذي يجعل من حسان شاعراً بارزاً في نظر ابن عباس ، فبعيداً عن هذا كان حسان دائماً من أبرز شعراء العصر ، ولقد اشتهر ببراعته في هذه الصناعة في الجاهلية والإسلام . وهو في نظر مؤرخي الشعر ونقادهم من الفحول ^(١١٠) .

وما بلغنا من أخبار ابن عباس مع حسان هذه القصة : «قال حسان : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة ، فطلبناها إليه بجماعة من الصحابة ، منهم ابن عباس ، وكانت حاجة صعبة شديدة ، فاعتل علينا ، فراجعوه إلى أن عذروه ، وقاموا إلّا ابن عباس ، فلم يزل يراجعه بكلام جامع

لابد أن هذا كله يحدث في مجلس ابن عباس ، وفي اليوم الذي خصصه للشعر بالذات . فهو أصلاً لم يكن ليخصص يوماً للشعر مالم يشكل هذا الفن ، بالفعل ، هماً ثقافياً متمكناً يعمر ذاكرته وحسه وعقله ، وهو لكي يكون كذلك لابد أن يكون متفاعلاً مع الشعر ، تذوقاً وتقويماً وحكماً . ولعل مما تجدر ملاحظته ، فيما أوردنا قبل قليل من صلات لابن عباس ببعض الشعراء ، (ابن أبي ربيعة والحطيئة بالذات) أن صلته رضي الله عنه بأولئك الشعراء لم تكن ، فيما يبدو ، صلة «محايدة» سلبية الجانب - إن صح هذا التعبير - فيكون موقفه فيها مقتصر على موقف المتلقي المستهلك الساكن ، الذي يكتفي بالاستنشاد والاستماع ، فلا تدخل ولا حوار ، إننا نظن أن ابن عباس كان على العكس من ذلك ، فقد لاحظنا أنه رضي الله عنه يتدخل ، ويحاور ، وقد كان في كل ذلك ، لابد ، محسوب الجانب . وهذا ما يجعلنا نصف صلاته تلك بأنها صلات مثاقفة ، فهو يتابع إبداع الشعراء . والشعراء - أو المهتمون بالشعر عموماً - يقدرون آراءه في الشعر وعلمه به ، وهذا ما سيتضح ، أكثر فأكثر ، فيما يلي :

علمه بالشعر

أجل ! فابن عباس يحلو له أحياناً - كما مر بنا - أن يقف أمام أصحاب الصناعة موقف طالب الاستزادة من المعرفة ، أو موقف المؤيد لحكم نقدي ، حول بعض الشعر ، أو بعض الشعراء ، فتراه يسأل ويستطلع آراء هؤلاء ، مبدعي الشعر ، الخبيرين في تقنيته ، ولكن ابن عباس هذا لا تحلو تدخلاته ، وسؤالاته نفسها ، من الإفصاح عن ذائقة حية وعلم بالشعر .

إن ابن عباس ، بعيداً عن كل شيء ، ليعد - في نظر أهل زمانه - من ذوي الرأي الثاقب ، والحكم المطلوب المنتظر في مسائل الشعر . فلقد كان من المتعالم الذائع بين الصحابة رضوان الله عليهم أنه قد مُنِعَ بملكة نقدية تمكنه من تمييز جيد الشعر من رديئه . وهذا أقل ما هو منتظر من رجل شغل الشعر كل ذلك الحيز في عقله وقلبه ووجدانه . فسعى إلى تعلّمه وحفظه ، وروايته ، وإنشاده ، وجعل منه ، فوق ذلك ، أحد المصادر الرئيسة في ثقافته (منهجه في التفسير) . إنه ، والحالة هكذا ، لم يعد له أن يختار الموقع المحايد في النظر إلى الشعر .

إن علاقة ابن عباس الواعية الوطيدة بالشعر ، وولعه به ، وتطلعه إليه ، كفيل - كل ذلك - بأن ينمي فيه علمه بهذا الفن ، فتتطور مداركه ، وتسمو ذائقته ، إلى مستوى يرر ، فيما يبدو ، للناس من معاصريه ، ومن غير معاصريه ، أن يعطوا لآرائه في الشعر الاعتبار اللائق بها .

ونعود ، مرة أخرى ، فنتذكر أن الحوار حول الشعر وقضاياها كان يستغرق «يومه الخاص» الذي أفرده له ابن عباس ضمن برنامجه أنشطته العلمي اليومي ، فماذا يمكن أن يقال في ذلك اليوم غير إنشاد الشعر ، ومناقشة قضاياها ، والحديث عن حسنه وقبيحه ، وذكر الشعراء ، وتقديمهم ، وإبداء الرأي فيهم ، والمفاضلة بينهم .

ونحسب أنه لو نقلت إلينا أخبار ابن عباس كل ما كان يقال في ذلك اليوم ، لكننا - كما سبق أن قلنا - وضعنا أيدينا على علم كثير ، وأفكار لها قيمتها ، وآراء لها وزنها ، في مسائل الشعر . والعرب أنفسهم ، وهم من هم في الاحساس بالشعر وتذوقه والعلم به ، لم يقصدوا ابن عباس ، أو يلتفتوا حوله في يوم الشعر المشهود ، إلا اعترافاً منهم بعلمه رضي الله عنه به ، وإلا اعتداداً بأفكاره وآرائه وأحكامه في هذا الشأن . وبدون ذلك فإنهم لن يقصدوه . وإلا لكانوا فعلوا ذلك مع الكثيرين غيره . وبدون ذلك أيضاً ما كان له هو ذاته أن ينصب من نفسه مرجعية من مرجعيات الشعر في زمانه ، فيجعل للناس يوماً من أيام مجلسه ، لا يذكر فيه إلا الشعر ، تماماً كما يفعل بالنسبة للتأويل ، وبالنسبة للفقهاء والفتوى الخ . .

فكما أن لكل علم من هذه العلوم يومه ، فإن للشعر هو الآخر يومه . والناس الذين يرون في ابن عباس حجة في الفقه والفتوى والتأويل ، بما أتاه الله من ذكاء وفهم وعلم ، كما هو الدور الذي تهيأ له منذ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل (١١٣) ، هم أنفسهم الذين يرون فيه كذلك حجة في معرفة الشعر والعلم به ، فيقصدونه من أجله ، كما كانوا يقصدونه من أجل إحاطاته العلمية الأخرى .

إنه على الرغم من شح الأخبار التي تعنى بتلك التفاصيل في هذا الجانب ، فإن قصته التالية مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمكن أن تؤخذ مؤشراً له دلالاته الخاصة على سمعة ابن عباس وصيته في مجال الشعر والعلم به وتقويمه ، ونظن أن مثل هذه القصة قد حدثت كثيراً ، وربما أن اهتمام الرواة بها - هي بالذات - إنما جاء لاقتراءها بعمر بن الخطاب ، وبدون هذا فربما أنها كانت ستلاقي مصير القصص الأخرى التي حدثت ، كما نظن ، لابن عباس .

تقول القصة :

قال ابن عباس : بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذاكرون الشعر ، فقال بعضهم : فلان أشعر ، وقال بعضهم : بل فلان ، فأقبلت ، فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بها ، ممن أشعر الشعراء ؟ قال : قلت : زهير بن أبي سلمى . فقال : هلم من شعره ما تستدل به على ما ذكرت ، فقلت : امتدح قوماً من غطفان ، فقال :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم	قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم	طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا ، جن إذا فرعوا	مرزأون بهاليل إذا حشدوا
محسدون على ما كان من نعيمهم	لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر : أحسن والله ! وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم ، لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتهم منه (١١٤) .

ونحن في حوارنا مع هذه القصة سننطلق من النقطة نفسها التي انطلق منها الرواة حين اهتموا بها وتناقلوها : أي من نقطة اقترانها بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكونه أحد أبطالها ، بكامل ثقله السياسي والاجتماعي والديني . ففي مجلس عمر ، كان الناس يتذاكرون الشعر ، ويبدو أنهم كانوا يختصمون في مسألة نقدية هي المفاضلة بين الشعراء . وكتب النقد والأدب القديمة كثيراً ما تحفل بالأخبار المتصلة بهذه المسألة ، مما يدفع إلى جعلها في مقدمة المسائل النقدية التي كانت تشغل الناس والمهتمين بالأدب والشعر في تلك الأيام ^(١١٥) . وقد صادفتنا نحن هذه المسألة في أخبار ابن عباس ، حتى الآن مرتين على الأقل ، مرة في حوار مع الخطيئة ، وكانت - أي هذه المسألة - من أهم ما نقلته إلينا أخبار ابن عباس فيما يتعلق بصلته بهذا الشاعر ، ومرة قبل قليل ، في قصته مع عمر بن الخطاب ، إذ كانت لها أهميتها في رأي الرواة ، إذ إنها قد تسهم في كشف بعض ما نحتاجه حول ذائقة ابن عباس الشعرية ، وقدرته على النقد والحكم والتقويم . إن هذه المسألة إذن (المفاضلة بين الشعراء) كانت من المسائل النقدية الحاسمة والهامة في القديم . وهي تناقش الآن - حسب قصتنا هذه - في مجلس عمر بن الخطاب . وما كان الموقف يحتاج إلا لقدوم ابن عباس لينجلي الخلاف ، وتسوى الخصومة ، فما سيقوله ابن عباس هو القول الفصل ، وهو الرأي الأنسب والأصوب ! ومن ذا الذي يرى هذا الرأي في ابن عباس ؟ إنه عمر بن الخطاب نفسه . بل إنه يعبر عن ذلك صراحة حين يقطع فجأة حديث الآخرين ، أي منذ أن أقبل ابن عباس ، أو منذ أن رآه ، ويقول : «قد جاءكم أعلم الناس بها» كأنه ، هكذا ، يقدمه على كل من سواه في شأن الشعر ، وتذوقه ، والحكم على جيده ورديته ، وهو إن لم يكن يقصد إلى تقديم ابن عباس على جميع معاصريه ، فهو على الأقل يقدمه على من في المجلس . ومن سيكون في مجلس عمر ، غير نخبة المجتمع ، وعلمائه ، وبلغائه ، وفضلائه ؟ ومن سيجرؤ على الحديث عند عمر في مسألة لا يجيدها أو يتقنها ، وبالذات حين يكون السؤال هو سؤال الشعر ؟

لقد أعطى عمر رضي الله عنه رأيه ، صراحة ، في قدرات ابن عباس ومواهبه : «قد جاءكم أعلم الناس بها» وهو لم يفعل ذلك إلا وهو مؤمن تمام الإيمان بذلك الرأي ، فيعتقد في سداده ، ولا يشك لحظة في صوابه ، لاسيما في حضرة النوعية المتوقعة من ضمهم مجلسه .

ولكأننا نحس في عمر بأنه يعرف في هؤلاء بأنهم ، هم أيضاً ، يقاسمونه الرأي ، وبأنهم يشتركون معه في ذلك القدر من الإيجابية في الحكم على ذائقة ابن عباس ، وعلمه بالشعر . فدون أن ينتظر ما سيقولون ، نراه يوجه السؤال مباشرة إلى ابن عباس : «من أشعر الشعراء ؟» ليقول هذا الأخير قولته ، وينتهي الكلام !

يمكن أن تتوقف قراءتنا لهذه القصة عند هذا الحد . فهي ، هكذا ، غنية بما يوصل إلى المقصود .

ولكننا إذا أردنا أن نمنح تلك القراءة انسياباً أكثر ، سنلاحظ أن عمر ، كيلا يبدو حكم ابن عباس «النقدي» حكماً مرتجلاً وغير منهجي ، يطالبه بالشاهد ، أو الدليل على حكمه ، من شعر

زهير ، فيختار ابن عباس ، فعلاً ، أبياتا من أحسن ما قال الشاعر في المديح - في نظره ونظر عمر على الأقل ! - لدرجة أن هذا الأخير ، وإعجاباً بذلك الشعر ، يرى أن آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم هم الأحق به ، فيضن به على من سواهم ، مبتدئاً بهذا القسم الذي لا يقصد به ، بالضرورة ، القسم : أحسن (الشاعر) والله ! .

ولعلنا ، بالمناسبة ، نتذكر رأي عمر نفسه في زهير ، إذ يقول : « كان لا يعاقل في الكلام ، ولا يتبع وحشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه »^(١١٦) فهو يلتقي مع ابن عباس ، أصلاً ، في رأيه في زهير وشعره ، وهو حين يعطي لابن عباس موقعه المتقدم في العلم بالشعر والحكم عليه ، يفعل كذلك وهو نفسه القادر على التقويم والحكم ، فهو حين أقر بحكم ابن عباس على زهير ، وحين أعجب بشعره لم يكن يهادن ابن عباس أو يجامله ، بل كان ينصفه ويعطيه حقه .

إن ابن عباس ، بمعنى آخر ، لم يخلف ظن عمر . فهو قد رشحه ، عندما أقبل ، للفصل في هذه المسألة ، اعتداداً بعلمه ، وتقديراً لمواهبه الرائجة بين الناس . وهو يعد أن أعطى حكمه ، وجرب ذائقته ، واختبر علمه ، أيده فيما ذهب إليه . فكان ابن عباس ، بهذا هو قاضي الشعر عند عمر . ولعلنا نعتقد أنه كان كذلك عند غير عمر أيضاً .

ففي خبر آخر أنه :

« قام رجل إلى ابن عباس فقال : أي الناس أشعر ؟ فقال ابن عباس : أخبره يا أبا الأسود الدؤلي . قال الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع^(١١٧)
يعني النابغة الذبياني .

فالناس - كما نرى - يدركون ، هم أيضاً ، في ابن عباس علمه بالشعر ، فيستفتونه ، في أي « الناس أشعر » ، فهو في تقديرهم من خير من يستطيع أن يعطي حكماً في هذه المسائل ، فهماً وعلماً وإحاطة وذائقة أدبية . يسألونه عن ذلك على الرغم من وجود أبي الأسود الدؤلي في نفس المجلس ، دون أن يفكروا في تقديمه على ابن عباس بتوجيه السؤال إليه ، وهو العالم باللغة والأدب والشعر . وابن عباس نفسه يدرك مدى رواج آرائه في الشعر والشعراء ، حتى بين المختصين في الشعر والأدب والعلم بهما ، فيطلب إلى أبي الأسود أن يقول للناس ما يعرفه من رأيه ، أو هو ، ربما ، يلتقي معه فيه ، حسب الظاهر من الرواية ، وهذا ما فعله أبو الأسود .

ومن الأخبار الأخرى التي نقلت إلينا بعض ما يكشف عن رؤية ابن عباس النقدية ، وعلمه بالشعر ، ما روي عن سفيان الثوري عن ليث بن طاووس عن ابن عباس قال : « إنها لكلمة نبي » يعني قول الشاعر :

ستبدي لك الأيسام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُرود^(١١٨)
وذلك لما يحويه هذا البيت من حكمة ظاهرة .

ولا شك أن تلقائية الأشياء ، بحكم موقع ابن عباس من بيت النبوة ، وبحكم المسؤولية التي ألقاها عليه رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، لا تدفع إلى ما هو مثير في علم ابن عباس «الشرعي» فكل الشروط المحيطة بمراحل تكوينه العلمي تهيء لذلك وتفضي إليه ، بغض النظر عن حجم المنزلة العالية التي تحققت له في وقت لاحق ، ودون الالتفات إلى المكانة التي تبوأها فيما بعد ، والتي جاءت نتيجة لاستعداداته الفطرية الخاصة ، ولثابته ، وإخلاصه لعلمه .

إن ما قد يبدو مثيراً ، وخارجاً على تلقائية الأشياء وشاذاً عنها ، بالنظر إلى المعطيات الظاهرة للدور المنتظر من ابن عباس ، هو أن يكون على نفس المستوى ، وب نفس الدرجة ، من التمكن في علمه بـ «الأدي» .

ولا شك أن تحقيق غاية كهذه قد استغرق جهداً قد لا يقل عن الجهد الذي استغرقه التفقه في «الشرعي» . وهذا هو ما يميز ابن عباس عن الكثيرين من معاصريه من الصحابة والتابعين الذين كان توجههم العلمي ، أساساً توجهاً شرعياً .

موقفه من الهجاء

ومادام أن الخبر الذي مر ذكره قبل قليل يكشف لنا ، من وجهة ما ، ميل ابن عباس الممكن إلى شعر الحكمة ، بالإضافة إلى بعض أغراض الشعر الأخرى كما ذكرنا ، فإنه حريّ بنا أن نقف عند بعض الأخبار التي ميزت موقفاً خاصاً لابن عباس من شعر الهجاء ، على الرغم من صلته بأبرز شعراء هذا الغرض في ذلك الزمان (الخطيئة) وعلى الرغم من إقراره بموهبته وقدراته الإبداعية .

لقد كان ابن عباس من خلال دفاعه عن حسان بن ثابت - كما مر بنا - يميز بين هجاء وهجاء . فهو ، ضمن مفارقة لها منطقتها ، يهاجم هجاء ، ويدافع عن هجاء ، إنه يهاجم هجاء يفضي إلى الظلم والأذى والبهتان بين المسلمين ، وهو ، في الوقت نفسه ، يدافع عن هجاء استدعته ضرورات مرحلية في تطور الدعوة ، وقد قيل في «الدفاع» عن الحق والدين ، بعد أن تألب المشركون لدحض ذلك الحق ومحاربة ذلك الدين .

إن ابن عباس ، الذي يدافع عن هذا اللون من الهجاء ، ممثلاً في شخص أبرز شعرائه وهو حسان بن ثابت ، يتخذ ، هو نفسه ، موقفاً آخر من الهجاء على إطلاقه ، أو من ألوان الهجاء الأخرى . فهو لا يخفي إدانته للهجاء «الظالم» ، ولا يوارى تحفظاته على «البهتان» وأهله .

وموقف ابن عباس هذا ينطلق من قيم مبدئية ، ألزم نفسه بترديدها ، والإعلان عنها كلما واتت المناسبة . وهو ، في جانب من تلك القيم ، يستلهم روح القرآن الكريم نفسه . وهو ، في الجانب الآخر ، ينطلق من فلسفة أخلاقية خاصة ، لها معناها ودلالاتها .

فيقول في قول الله عز وجل : «ولا تلمزوا أنفسكم» ^(١١٩) أي «لا يطعن بعضكم على بعض» ^(١٢٠) وهدف هذا التوجيه القرآني الكريم ، كما يفهمه ابن عباس ، هو المؤمنون ، وهو من أخرى الناس في الأخذ به ، وتمثله والحرص على اتباعه . إنه «ترجمان القرآن» في أقواله ، ولابد أن يكون كذلك في

أفعاله ، وسلوكه ، وطريقة تفكيره ، وأسلوب تعامله مع الأشياء والناس .

ويقول ابن عباس : « إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوب نفسك » (١٢١)

وعن سعيد الجريري عن رجل قال : « رأيت ابن عباس رضي الله عنه أخذ بثمره لسانه (طرفه) وهو يقول : ويحك قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم . فقال له رجل : يا ابن عباس مالي أراك أخذ بثمره لسانك تقول كذا ؟ قال : إنه بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء احق منه على لسانه » (١٢٢) .

هذه هي فحوى الفلسفة الأخلاقية الخاصة التي ألزم ابن عباس نفسه بها ، فالمؤمن قبل أن يتبع عيوب الآخرين عليه معالجة عيوبه ، والناس لهم ، دون شك ، عيوب يدرون افتضاحها في الملأ ، وهي غالباً تظل مستورة ، أو مغفلة ، إلى أن يأتي الشعراء ، المأخوذون بالهجاء ، فيفضحونها ، كشفاً للمعورات ، وتسقطاً للهنات ، وإصراراً على الإضرار بالآخرين ، وإمعاناً في إيذائهم ، والنيل من كرامتهم وكبريائهم .

إن فيما تقدم اعتراضاً من ابن عباس على اللمز ، وذكر العيوب ، من ناحية مبدئية ، شعراً كان ذلك أو نثراً ، أدباً كان ذلك أو تعاملأً يومياً في علاقات الناس بعضهم البعض الآخر : « إن الله لا يحب الفاحش المتفحش » كما يعود فيقول ابن عباس نفسه (١٢٣) في مناسبة أخرى . فعكرمة يحدث فيقول : « لا أدري أيهما جعل لصاحبه طعاماً ، ابن عباس أو ابن عمه . فبينما الجارية تعمل بين أيديهم إذ قال أحدهم لها : يا زانية ! فقال : مه ! إن لم تحك في الدنيا تحك في الآخرة . قال : أفرايت إن كان كذلك ؟ إن الله لا يحب الفاحش المتفحش » (١٢٤) .

أما فيما يتعلق بموقفه رضي الله عنه من شعر الهجاء تخصيصاً فيصادفنا هذا الخبر : « بينا ابن عباس جالس في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي مكان كان يجلس) بعدما كف بصره ، وحوله أناس من قريش ، إذ أقبل أعرابي يخطر وعليه مطرف وجبة وعمامة خز . حتى سلم على القوم ، فردوا عليه السلام . فقال : يا ابن عم رسول الله افتني : فقال فيماذا ؟ قال : أتخاف علي جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته ، وشتمني فشتمته ، وقصر بي فقصرت به ؟ فقال : العفو خير . ومن انتصر فلا جناح عليه . فقال يا ابن عم رسول الله أرأيت أمراً أتاني فوعدني وعزني ومناني ، ثم أخلفني ، واستخف بحرمتي ، أيسعني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلح الهجاء ، لأنه لا بد لك من أن تهجو غيره من عشيرته ، فظلم من لم يظلمك ، وشتم من لم يشتمك ، وتبغي على من لم يبغ عليك . والبغي مرتع وخيم ، وفي العفو ما قد علمت من الفضل . قال : صدقت وبررت . فلم ينشب أن قدم عبد الرحمن بن سحبان المخاربي ، حليف قريش ، فلما رأى الأعرابي أجلسه وأعظمه ، وألطف في مسأله ، وقال : قرب الله دارك يا أبا مليكة ! فقال ابن عباس : أجروا ! قال : جروا ! . فإذا هو الحطيئة (١٢٥) وتخلص القصة إلى إن ابن عباس قد رحب بالشاعر بعد أن عرفه . ولاندرى سبب عدم معرفته آياه أول وهلة ، هل لأن ذلك اللقاء كان الأول بينهما ، أو لأن ابن عباس كان قد فقد بصره ، فلم يكن يدرى تماماً من

الذى كان يتحدث إليه . وفي كلتا الحالتين فإن ذلك لا يخل بفكرة الحديث الذى سقناه قبل قليل عن علاقة قامت ، أو كانت قائمة ، بين ابن عباس والخطيئة ، والفرق إنما هو فى كونها - أي تلك العلاقة - إما قديمة فتجددت ، وإما حديثة فتثبتت .

والمهم هنا هو أن ابن عباس قد كرر فى هذه القصة مسألة «العفو» مرتين ، محبباً ، ومشجعاً ومنوهاً ، بما لذلك من فضل . فهو يقدمه على الانتقام ، أو الانتصار للنفس ، مادامت هناك فسحة للتسامح .

كما وردت كلمة «البغي» مرتين فى سياق التكريه والتنفير ، أما فى الثالثة فقد وصف البغي صراحة بأنه «مرتج وخيم» معطياً بذلك حكمه النهائي على الأذى ، وعلى من يريد بالناس الأذى . أما الهجاء فإنه - حسب رأي ابن عباس - «لا يصلح» لأنه قد يطال ما هو أبعد من المهجو ، فـ «يظلم» الشاعر من لم يظلمه ، من أهل المهجو وعشيرته . فابن عباس يدرك أن مادة الهجاء الأولى ، عند العرب ، هي «الاحساب والأنساب» ومفاخر العرق والأرومة ، فلا مندوحة عن الطعن فى هذه الأشياء ، وإعلان مثالبها ومعايها ، لأنها المنطقة الأكثر إيلاً فى وجدان العربي . وكيف للشاعر ، وهو فى عنفوان الغضب ، وجنون شهوة البطش ، أن يتحاشى ذلك ، أو يتجنبه ، أو يتعد عنه . وفى هذا ، دون ريب ، ظلم كبير يرفضه ابن عباس ، وينهى عنه .

وهاهو نفسه يقول للخطيئة ، فى المناسبة نفسها : «والله لو كنت عركت بجنبك بعض ماكرهت من أمر الزبرقان لكان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك وشتت من لم يشتتك . قال (الخطيئة) : إني والله بهم يا أبا العباس لعالم ! فقال : ما أنت أعلم بهم من غيرك . قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشد يقول :

أنا ابن مجدهم علماً وتجربة	فسل بسعد تجدي أعلم الناس
سعد بن زيد كثير إن عددتهم	ورأس سعد بن زيد آل شماس
والزبرقان ذناباهم وشهرهم	ليس الذنابي أبا العباس كالرأس

فقال ابن عباس : أقسمت عليك أن لاتقول إلا خيراً . قال : أفعل !» . (١٣٦)

وفى هذه القصة أيضاً يردد ابن عباس فكرة «الظلم» فيجادله الشاعر ، ويحاول اقناعه بموقفه نثراً وشعراً ، ولكن ابن عباس لا يتزحزح ، فيقسم عليه أن يدع ذلك وأن «لا يقول إلا خيراً» وقول الخير هنا لا يشمل ، بالتأكيد الهجاء ولا يتضمنه .

إن الخطيئة الذى - كما ذكرنا سابقاً - يعجب ابن عباس بموهبته ، وبإمكاناته الإبداعية ، ثم يعتد رضى الله عنه بآرائه فى «المفاضلة» بين الشعراء ، فيسأله ، ويخاure ، ويقره على مايقول ، هو ذاته الخطيئة الذى يجد نفسه فى موضع النقد والمؤاخذه من ابن عباس ذاته . وقد قلنا إن ابن عباس إنما يكبر الموهبة فى ذاتها ، وإنما ينحاز إلى الشعر فى إمكاناته ومقوماته ، فهو يتحفظ هنا على «الشم» ، وعلى «الفحش» ، وعلى مايفضى إلى «الظلم» ، حتى وإن صدر ذلك عن الخطيئة نفسه وهو الشاعر المجيد ،

والموهبة الفذة ، كما يرى ذلك ابن عباس .

ومن أين لإعجاب ابن عباس بالخطيئة ، مهما عظم ، أن يمنع رجلاً مثله من أن يهتبل الفرصة المواتية للإعلان عن موقفه من «بعض» الشعر ، وللتعبير عن «بعض» مؤاخذته على الشاعر الذي هو محط إعجابه ، إن ذلك - على العكس - سيكون أظهر لحياذله ، وموضوعية أحكامه وآرائه .
إن هذا الموقف من الهجاء يبدو أكثر وضوحاً ، مع شاعر آخر غير الخطيئة هو عتيبة بن مرداس الملقب بابن فسوة ^(١٢٧) وهو هجاء خبيث اللسان .

فأول ما يصادفنا من أخبار ابن عباس مع هذا الشاعر ما أورده الجاحظ ^(١٢٨) من أنه لما مدحه قال : «لأعطي من يعصى الرحمن ، ويطيع الشيطان» ويقول البهتان «وهو هكذا يمنعه نواله لفحشه في هجائه» .

وروى أن ابن فسوة قال في ذلك ^(١٢٩)

أنت ابن عباس أرجي نواله	فلم يرُجُ معروفي ولم يخش منكري
وقال لبواييه لاتدخلنــــه	وسدّ خصاص الباب من كل منظر
وتسمع أصوات الخصوم وراءه	كصوت حمام في القليب المعـــــور
فلو كنت من زهران قضيت حاجتي	ولكنني مولى جميل ابن معمر ^(١٣٠)

وكان ابن عباس تزوج امرأة بالبصرة من زهران ، يقال لها شميلة ، وقوله مولى جميل بن معمر أراد أنه وليه ومن قومه ، وكان جميل مضرياً . ^(١٣١)

أما القصة التالية ، مع ابن فسوة نفسه ، فهي تظهر بجلاء الجانب الأكثر صلابة من موقف ابن عباس مع هذا الشاعر ومع شعره المهجائي البذيء ، فقد روى أنه «أتى عبدالله بن العباس عليهما السلام ، وهو عامل لعلي بن أبي طالب على البصرة (. . .) فاستأذن عليه ، فأذن له ، وكان ما يزال يأتي أهل البصرة فيمدحهم فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباس قال له : ما جاء بك إلـيَّ يا ابن فسوة ؟ فقال له : وهل عنك مقصر أو وراءك معدى ؟ جئتك لتعيني على مروءتي ، وتصل قرابتي . فقال ابن عباس : وما مروءة من يعصى الرحمن ، ويقول البهتان ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ؟ والله لئن أعطيتك لأعيتنك على الكفر والعصيان . انطلق ، فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك ، فأراد الكلام ، فمنعه من حضر ، وحجسه يومه ذاك ثم أخرجه من البصرة . ^(١٣٢)

ونحن نقول : هل الهجاء «عصيان لله» ؟ ! أم أن ابن عباس كان قد عرف عن الشاعر أموراً أخرى ، فجعل ذلك مقدمة لما سيأتي ، وهو قول «البهتان» ، وما البهتان هنا إلا الهجاء ؟
إن كانت الأولى فهذا يعني أن ابن عباس يظهر هنا أكثر وضوحاً وصلابة في موقفه ، فهو يضع الهجاء صراحة في منطقة المحذور والمحرم ، فهو سلوك من «يعصي الرحمن» ، وابن عباس قد يستلهم في

هذا روح الإسلام وأخلاقه ، إذ ينهى عن أن يلزم المؤمنون بعضهم بعضاً ، كما أنه لا يحب الفاحش المتفحش كما مر بنا .

وإن كانت الثانية ، بحيث لا يتعلق بالهجاء من قوله ابن عباس تلك سوى وصفه بـ «البهتان» ، فإن الموقف لا يقل صلابته عنه في الحالة الأولى ، إذ إن قول البهتان يضع - عند ابن عباس - مروءة المرء ، بكافة معانيها ، في موضع التساؤل : «ما مروءة من يقول البهتان» ؟ ثم يطبق رضي الله عنه في حق الشاعر ، إضافة إلى تأنيبه ، عقوبتين : السجن يومه ذاك ، والنفي عن البصرة .

لقد عرف ابن فسوة بفحشه ، وحبث لسانه ، فهو «بيهت» المسلمين ، و«يظلمهم» ، ويؤذيهم في أنفسهم ، ويتزهم في أموالهم ، وقد رأى ابن عباس ، «العالم» بأمور الدين ، أن في ذلك عصياناً لله ، فأنبأ الشاعر ، وأنكر عليه أفعاله ، وامتنع عن أن يعطيه . كما رأى ابن عباس ، «الحاكم» ، أن من حقوق المسلمين عليه أن يحميهم من الأذى والظلم والبهتان ، فتوعد الشاعر بقطع لسانه ، وسجنه ونفاه .

إننا هنا أمام موقف صلب ومتشدد ، فهو يُتخذ في حق شاعر بذيء ، وفي حق شعر اشتهر بالفحش ، وانتهاك الحرمات .

إن موقفاً كهذا هو الموقف المنتظر من حاكم بيده أن يحمي الناس من الأذى ، فاختر تلك العقوبات جميعاً تجاوباً مع مسؤولياته التي أنيطت به ، وتناغماً مع الأمانة التي تقلدها .

الوضع هنا ، بكل ظروفه وشروطه ومعطيته ، لم يعد يحتمل أن يتخذ ابن عباس موقفاً كالذي اتخذ مع الخطيئة ، فيكتفي بعبارة كهذه : «أقسمت عليك أن لا تقول إلا خيراً» ، أو جملة كهذه « في العفو ما قد علمت من الفضل» .

إن ابن عباس - مرة أخرى - حين ينحاز إلى «الشعر» والمهوبة ليعني ذلك ، بأي حال ، قبوله بكل مايقوله الشعراء ، لاسيما حين يكون مايقولونه هجاءً يحمل «الظلم» أو يتضمن «البهتان» أو يفضي إلى الأذى .

وابن عباس الذي قبل الهجاء بين مؤمنين ومشركين في حالة حرب ، واقتتال وصراع بين الحق والباطل ، لا يمكن أن يقبله أو يقره ، لا سيما في صورته المقدعة أو المتفحشة ، داخل جماعة واحدة أضحت الآن في أمس الحاجة إلى حماية وحدتها ، وصيانة تضامنها ، ورعاية تأخيتها . فلعل الهجاء مما يفسد تلك الوحدة ، وما يضعف ذلك التضامن ، وما يشرح ذلك التأخي ويوهنه ، لما يثيره من عصبية وإثارات وإحن وفتن . كما أن الإسلام نفسه ، الذي أضحي نظام حياة في المجتمع الجديد ، كان عليه أن يضمن للمسلمين ، من المنتمين إليه ، حقوقهم في الكرامة والاستقرار والاطمئنان ، بحيث لا «ظلم» ، ولا «بهتان» ، ولا أذى يستنزف مشاعرهم وأموالهم . والظلم والبهتان والأذى كانت ، كلها ، من الأمور المعتادة التي لا يتورع عنها شعراء الهجاء ، لاسيما المحترفون منهم ، ممن ظهروا في وقت متأخر

من عصر الإسلام الأول (عصر بني أمية بالذات) حيث تفشى الهجاء ، وأمعن في الفحش ، والتهتك ، والابتذال ، وذكر العورات ، وانتهاك الأعراض والحرمات (١٣٣) ، وحيث ازدهرت النقائص التي كانت ، بشكل ما ، إحدى الصيغ المعقدة للهجاء التقليدي . ولنا أن نقدر فداحة ما كانت تضمنه تلك الأهاجي - في صيغها المختلفة - من فحش ، وبذاءة ، بالنظر إلى موقف بعض الرواة منها ، ثم - فيما بعد - بعض مؤرخي الأدب ، إذ كانوا يستحون من روايتها أو ترديدها أو تضمينها مصنفاتهم . (١٣٤)

ولاشك أن الفترة التي التقى فيها ابن عباس بابن فسوة هذا كانت قريبة ، بل شديدة القرب ، من فترة الهجاء المر الذي نتحدث عنه ، بل لعلها كانت إحدى مقدماتها ، أو إحدى المراحل التي مهدت لها ، فليس لابن عباس ، والحال هكذا ، إلا أن يبدو متبرماً بما يحدث ، متجهماً في وجه هذا النوع من الشعر ، مواجهاً منشئيه وأربابه بتلك الصلابة ، وأتلك القوة في الموقف ، فيصفهم بعصيان الله ، ويتوعدهم بقطع ألسنتهم ، ثم يقذفهم في السجن ، ويخرجهم من البصرة (ابن فسوة في حالتنا هذه) .

وليس لنا أن نظن ، لحظة ، أن موقف ابن عباس هذا ، من شعر الهجاء ، متناقض مع الصورة التي سبق أن كوناهما عن حميميته مع الشعر فناً وتعبيراً ، إذ يظهر ، هنا مثلاً ، صلباً عنيفاً يسجن الشعراء ، وينفيهم ، ويتوعدهم بقطع ألسنتهم . إننا نقول ، بالأحرى ، إن تلك الحميمية بالذات هي واحدة من الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ موقف متشدد صلب كهذا الموقف ، فهي قد تأخذ شكل التعبير عن غيظه على «الشعر» إذ لا يريد أن يتحول من نبع للجمال والحرية إلى عصا غليظة تهوي على رقاب الناس ، فتؤذيهم في أنفسهم وأموالهم . كأن ابن عباس يريد أن يحمي الشعر ، وكأنه يطمع في أن ينقذه مما هو منساق إليه على أيدي السفهاء ممن لا يستنكفون عن معصية الله ، ومخالفة أخلاق الإسلام ، وإيذاء المسلمين .

وفي خبر ، له دلالاته ، أورده القرطبي ، عن ابن عباس أنه قال : «إن النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة رن إبليس (أي صاح) رنة وجمع إليه ذريته ، فقال : ايسوا أن تريدوا أمه محمد على الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن افسوا فيهما - يعني مكة والمدينة - الشعر» (١٣٥) .

وهو خبر - كما نلاحظ - يتضمن ، ظاهراً ، ذماً للشعر (كله) وإنكاراً له .

وهو ، في كل الأحوال ، خبر لم يمر بنا في أخبار ابن عباس مثله . إذ لم يصل إلينا عن ابن عباس في علاقته بالشعر ، في عموميه ، إلا كل ما هو إيجابي ، وإلا كل ما هو منحاز إلى هذا الفن القولي من حيث هو صوت وجدان ، وصدى عاطفة ، ولكن ، مهما يكن من أمر ، فإن هناك احتمالات ممكنة لفهم هذا الخبر والتحاور معه ، ومن تلك الاحتمالات : أن المقصود إنما هو شعر الهجاء الذي دارت رحاه بين قريش ، في مكة ، وأهل المدينة . أو بين المشركين والمؤمنين من المهاجرين والأنصار قبل الفتح ، وذلك لما يتضمنه ذلك الشعر من أهاج تبعث الثارات ، وتحبي الإحن ، وتشر العصبيات ، وتذكي الأحقاد ، وتقسم المسلمين على أنفسهم ، بعد أن توحدوا ، وبعد أن اتلفوا ، تحت راية الدين الجديد ،

فأصبح مشركو الأمس هم مؤمنو اليوم ، وأضحى أعداء الماضي هم أخوة الحاضر . إن في إحياء سيرة الأهاجي التي دارت رحاها بين الفريقين ، أيام الخصومة والحرب ، ما يمكن أن ينشر الفتنة بين المسلمين في مكة والمدينة ، وربما أعادتها ، تلك الأهاجي ، جذعة بين قريش وأهل المدينة .
لم يعد هناك مجال لعودة الشرك إلى قلوب الذين ذاقوا طعم الإيمان ، ولكن إثارة الأحقاد ، وبعث الضغائن ، عبر الشعر مثلاً ، هما الطريق الأمثل إلى تفتيت هذا البناء الذي صعد ، وإلى توهين تلك القوة التي تكونت وسمقت .

ومن الاحتمالات ، الأخرى الممكنة ، لفهم الخبر السابق ، أن المقصود هو إفشاء الشعر لدرجة انشغال الناس به عن ذكر الله وعن القرآن الكريم ، كلام الله ، الذي انكب عليه الناس ، وانشغلوا به عن أي شيء سواه . وابن العربي ، مثلاً ، يقول : « فلا ينبغي أن يكون الغالب على العبد الشعر حتى يستغرق قوله وزمانه ، فذلك مذموم شرعاً . قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً » (١٣٦) والقرطبي يذكر أن أحسن ما قيل في تأويل هذا الحديث : « أنه الذي قد غلب عليه الشعر ، وامتلأ صدره منه دون علم سواه ، ولا شيء من الذكر ، ممن يخوض به في الباطل ، ويسلك به مسالك لا تحمد له ، كالمكثر من اللفظ والهذر والغيبة . ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه الأوصاف المذمومة (. . .) وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاري في صحيحه لما بَوَّب على هذا الحديث «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر» (١٣٧) .
ولا شك أن ابن عباس لا يريد للإسلام أن يصبح ثانوياً في حياة المسلمين ، فيغلب عليهم الشعر الذي كان لا يغيرهم شيء آخر سواه قبل الإسلام .

ولا نرى تحريجاً آخر لهذا الخبر غير ما ذكرنا ، وهو بغير هذا المستوى من الفهم والحوار لا يستوي مع السياق العام المعروف لسيرة ابن عباس رضي الله عنه مع الشعراء ، ولا ينسجم مع النسق المنطقي لعلاقته بالشعر ، سواء بالنظر إلى الأخبار التي تنوه صراحة بحميمته مع الشعر حفظاً ومثالاً ورواية وتقويماً ، أو بالنظر إلى مشروعه العلمي في التفسير ، إذ كان الشعر فيه - كما عرفنا - أحد العناصر الرئيسية . فلا يمكن أن يكون ابن عباس الذي ربطته تلك الصلة بالشعر هو ابن عباس نفسه الذي يرى في الشعر هذا الرأي الذي تضمنه الخبر السابق ، في ظاهره ، من حيث هو ذم للشعر (كله) وإنكار له .

وإذا كان لابد لنا من ترجيح أحد الاحتمالين السابقين في فهم الخبر المذكور ، فإننا نرجح الاحتمال الأول . . أي أن المقصود هو شعر الهجاء ، وذلك لما يلي :

أولاً : لأن الخبر ، في ذاته ، لا ينسجم إلا مع موقف واحد بعينه من مواقف ابن عباس من الشعر ، وهو موقفه من الهجاء كما مر بنا . فالهجاء هو نوع الشعر الوحيد الذي نقلت إلينا أخبار ابن عباس بأنه تحفظ عليه ، بل رفضه ، وأنكره ، وذمه ، وعاقب عليه ، وتوعد شعراءه . فهذه الروح في موقف ابن عباس من الهجاء هي الروح التي تُقَرَّب إليها الخبر السابق ، وتشده نحوها .

ثانياً : إن السياق التاريخي للأحداث في تطور الدعوة يجعل من فتح مكة نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإسلام ، إذ اتحدت القريتان ، وهذا كان أحد الأهداف الكبرى للدعوة نفسها . فانقاذ مكة من الشرك هو غاية لاتعادها ، أو توازيها ، أية غاية أخرى غيرها . هذا فضلاً عن أن ذلك ، في حد ذاته يعني انطفاء أقوى الخصومات التي كانت تواجه الإسلام في ذلك الحين . وما الذي سبق ذلك الاتحاد ، وما الذي سبق ذلك الائتلاف ، وهو مازال ندياً طرياً ، غير الخصومة نفسها ؟ ولقد كان من أدواتها شعر الهجاء نفسه . إنها الشيء الوحيد الذي مازال في الإمكان إثارته واستغلاله من أجل الهدم وتقويض البناء . إن ذلك السياق التاريخي في تطور الدعوة هو الذي يجعل من الهجاء المرشح الوحيد لذلك الذم ، وذلك الإنكار ، اللذين صبهما ابن عباس على الشعر . فابليس إنما رنّ رنته تلك ، وإنما قال قوله ذلك ، بعد أن «افتتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة» فهو لم يفعل ذلك - عند ابن عباس - في مناسبة أخرى ، بل فعله في هذه المناسبة بالذات .

ثالثاً : إن تعيين مكة والمدينة ، بالاسم ، في سياق الخبر ، لا يعيد إلى الذهن إلا الخصومة ذاتها ، وما الهجاء - كما قلنا - إلا أحد أدواتها ، فإبليس لم يقل «افشوا الشعر» بين المؤمنين ثم وقف ، بحيث يمكن أن يفهم من ذلك : الشعر كله (الهجاء وغير الهجاء) لكنه قال : «افشوا الشعر» . . «فيهما» أي مكة والمدينة تحديداً .

فإذا احتسبنا هذا الخبر ضمن موقف ابن عباس المعروف من الهجاء لم يزد ذلك على كونه تأكيداً على ذلك الموقف ، والتزاماً لازماً به ، فهو لا يناقضه ، بل ينسجم معه ويدعمه . وقد رأينا أن ابن عباس رضي الله عنه كان من أكثر الناس تقديراً للأضرار والمخاطر التي يمكن أن يسببها الهجاء على الأفراد وعلى الأمة الجديدة كلها .

خاتمة

إن علاقة ابن عباس بالشعر ، هكذا ، لم تنشأ استجابة لأغراض علمية بحتة فحسب ، ولكنها ، إلى جانب ذلك ، بل ربما قبل ذلك ، كانت علاقة ولع بهذا الفن في ذاته . لاشك أن الشعر يشكل عنصراً أساساً في ثقافة ابن عباس ، ولا شك أنه يمثل همّاً ثقافياً له مساحته المقيدة في عقله ووجدانه : يستنشده ، ويتابعه ، ويتطلع إلى جديده . يحفظه ، ويرويهِ ويقوّمه ، ويحكم فيه ، بل إنه ليعد ، بين معاصريه ، «حجة» في مسائله وشؤونه . لقد جعل ابن عباس للشعر «يومه الخاص» ، ولقد ربطته بشعرائه صلات كانت في أغلبها إيجابية ومتفاعلة : فهو يتدخل ، ويحاور ، ويناقش ، ويأخذ ، ويرفض ، مستهدياً في كل ذلك مرة بعلمه في الشعر ، ومرة بأخلاق الدين الذي يعتبر رضي الله عنه أحد أبرز علمائه وفقهائه .

إن إمعان النظر في هذا الوجه من علاقة ابن عباس بالشعر يسهم ، لاشك ، في إلقاء مزيد من الضوء على الموقف الحقيقي للإسلام من الشعر . فالشعر ، في النتيجة ، كلام ، ما كان منه حسن

فهو حسن ، وما كان منه قبيح فهو قبيح^(١٣٨) ، ولقد كان ابن عباس ، إذن ، يُقبل على جميع أغراض الشعر دون استثناء ، ولكنه حين يحس أن في ذلك ما يناقض أهداف الدعوة ، و يتعارض مع غايات الدين الجديد ، فإنه لا يتردد في أن يرفضه ، بل يدينه ، ويعاقب أصحابه أو منشئيه .

التعليقات

- (١) انظر عبد الكريم الحसन بكار ، ابن عباس مؤسس علوم العربية (جدة : مكتبة الوادي للتوزيع ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ص ٦٣ . وتلك السؤالات تتعرض لحوالى مائتين وخمسين موضعاً في القرآن الكريم وشواهد الغريب فيها - كما هو معروف - هي دائماً أشعار العرب .
- (٢) عبد الكريم الحसन بكار ، ابن عباس مؤسس علوم العربية ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .
- (٣) الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، تحقيق نايف العباس ومحمد علي دوله (دمشق : دار القلم ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج ٢ ، ص ص ٤٨ - ٤٩ ، و ج ٣ ، ص ٢٥٩ ، وابن سعد ، الطبقات ، (بيروت : دار صادر ، د . ت) ج ٢ ، ص ٣٦٩ .
- (٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط ٤ (بيروت : مكتبة المعارف ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ج ٨ ، ص ٣٠٢ ، خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط ٥ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م) ج ٤ ، ص ٩٥ .
- (٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت : د . ت) ج ١ ، ص ١٧٤ . وانظر أيضاً ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ط ١ ، (القاهرة : ١٣٢٨هـ) ج ٢ ، ص ٣٣٣ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٣٠١ .
- (٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٣٠١ ، الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، ج ٣ ، ص ص ٣٦٠ - ٣٦١ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد (القاهرة : دار الشعب ، د . ت) ج ٣ ، ص ص ١١١ - ١١٢ .
- (٧) الزركلي ، الأعلام ، ج ٤ ، ص ٩٥ .
- (٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .
- (٩) السيوطي ، الاتقان ، تحقيق محمد شريف سكر ، ومصطفى القصاص ، ط ١ (بيروت : دار إحياء العلوم ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، محمد فؤاد عبد الباقي ، معجم غريب القرآن ، ط ٢ (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) ص ٢٣٥ ، وروى ذلك أبو عبيد في فضائله انظر أبا تراب الظاهري ، شواهد القرآن (جدة : النادي الأدبي ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) ج ١ ، ص ١٠ .
- (١٠) السيوطي ، المزهرة ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، د . ت) ج ٢ ، ص ٣٠٢ ، والزركشي ، البرهان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : المكتبة العصرية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م) ج ١ ، ص ٢٩٣ ، وأبو تراب الظاهري ، شواهد القرآن ، ج ١ ، ص ١٠ .

- (١١) المبرد ، الكامل ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، ط ١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ج ٣ ، ص ص ١١٤٩ - ١١٥٠ .
- (١٢) لقد انقسم الصحابة في صدر الإسلام قسمين : متخرج من القول في القرآن ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، وكان عبد الله بن عمر يأخذ على ابن عباس تفسير القرآن بالشعر . والقسم الثاني الذين لم يتخرجوا ، وفسروا القرآن حسب ما فهموا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو حسب فهمهم الخاص بالمقارنة إلى الشعر العربي وكلام العرب ، ومن هؤلاء علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ومن أخذ عنهما (قارن : محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ط ٣ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٨ ، ص ص ٣١ - ٣٢) ويبدو أن ذلك الخلاف ظل مستمراً بين المتخرجين والمجيزين إلى ما بعد عهد الصحابة ، إلى القرن الثالث الهجري ، إذ نلاحظ أن هناك من الفقهاء من يرون عدم جواز الاستشهاد بالشعر على القرآن (انظر عبد الكريم الحسن بكار ، ابن عباس ، ص ص ١٢٦ - ١٢٧) .
- (١٣) وهكذا كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ كان يقول : «عليكم بديوانكم لا تضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم» . انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة : ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م) ج ١٠ ، ص ص ١١٠ - ١١١ .
- (١٤) السيوطي ، المزه ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .
- (١٥) ارجع محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص ٣٣ .
- (١٦) السيوطي ، الاقتان ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، أبو تراب الظاهري ، شواهد القرآن ، ج ١ ، ص ١٠ . وانظر بلفظ آخر في الزركشي ، البرهان ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م) ج ١ ، ص ٢٩٤ .
- (١٧) جولد تسهير عن الطبراني ، ج ٧ ، ص ١٢٩ نقله محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص ٣٢ .
- (١٨) مشكلة القرآن - مخطوط - ٤٧ ، نقله محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص ٣٢ ، والسيوطي ، المزه ، ج ٢ ص ٣٠٢ ، وأبو تراب الظاهري ، شواهد القرآن ، ج ١ ، ص ١٠ . وانظر هذا بلفظ آخر في الزركشي ، البرهان ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .
- (١٩) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٥٩) ص ٣٣ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك (لیدن : ١٩٦٤) ج ٣ ، ص ١١٦٥ .
- (٢٠) قال الجاحظ في كتاب الحيوان (ج ٦ ، ص ٦٨) وقد جاء في الخبر أن من الملائكة من هو في صورة الرجال ، ومنهم من هو في صورة الثيران ، ومنهم من هو في صورة النسور ، ويدل على ذلك تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبي الصلت . ثم ذكر البيت . انظر تعليق محققي العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق أحمد أمين أحمد الزين وإبراهيم الأبياري (بيروت : دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ج ٥ ، ص ٢٧٧ .
- (٢١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٧٧ . وانظر رواية أخرى في الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة : دار الشعب ١٣٨٩هـ/١٩٦٩) ج ٤ ، ص ١٣٤٢ .
- (٢٢) السيوطي ، المزه ، ص ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
- (٢٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٣٠٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور ، محمود عبد الوهاب فايد (القاهرة : دار

- الشعب د. ت) ج ٣ ، ص ٢٩٤ . انظر «نكت الهميان» ٧١ نقل ذلك **مصطفى الحن** ، عبد الله بن عباس ، ص ٣٩ .
- (٢٤) ابن رشيقي ، العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢م) ج ١ ، ص ص ٣٦ - ٣٧ .
- (٢٥) ابن عبدويه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ .
- (٢٦) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (طبعة دار الشعب) ج ٦ ، ص ٤٨٦٣ .
- (٢٧) الأصفهاني ، الأغاني ، (القاهرة : دار الكتب ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م) ج ١٣ ، ص ٢٦٤ .
- (٢٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
- (٢٩) انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار صادر ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م) ج ١ ، ص ٣١٧ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ، ص ٢١٧ .
- (٣٠) الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الشعب) ج ٤ ، ص ١٣٤٥ . الخلب : الطين بلغة حمير ، والثأط : الطين الحمأة (أي الأسود) وقيل : الطين حمأة كان أوغير حمأة . والخرمد : الأسود من الطين ورواية هذا الشعر في اللسان مادة (ثأط) :
- بلغ المشارق والمغارب يتغني أسباب أمر عن حكيم مرشد
فأنى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرم
- وقد رواه صاحب اللسان لأمية بن أبي الصلت ، ثم قال : وأورد الأزهرى هذا البيت مستشهداً به على الثأط والحمأة ، وكذلك أورده ابن برّي وقال : إنه لتبع يصف ذا القرنين .
- (٣١) الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ١ ، ص ٧٣ .
- (٣٢) الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، ج ١ ، ص ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .
- (٣٣) الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ٤ ، ص ١٤٦ ، وانظر ذلك بلفظ آخر في الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (القاهرة : دار الريان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج ٩ ، ص ٣٧٧ . وهناك رواية شبيهة في تاريخ ابن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير (بيروت : ١٩٧٩م) ج ٤ ، ص ١٣١ ، وللسيدة عائشة كلام شبيه بهذا ، فقد روى عن عروة عن أبيه ، قال : «ذهبت أسب حسان عند عائشة ، فقالت : لا تسبه فإنه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» انظر البخاري ، الجامع الصحيح ، تحقيق م . لودولف كرهل لي (بريل ١٨٦٢ - ١٩٠٨م) ج ٣ ، ص ١٠٥ ، ومحب الدين الطبري ، السمط الثمين ، تحقيق محمد على قطب (القاهرة : دار الحديث ، ١٩٨٩م) ص ١٠٧ .
- (٣٤) السيوطي ، المزهري ، ج ٢ ، ص ٤٨٢ ، ثم يذكر السيوطي أن ابن سلام قال : قال أهل النظر : «كان زهير أخصفهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق» انظر أيضاً ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر (القاهرة : مطبعة المدني ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ج ١ ، ص ٦٣ .
- (٣٥) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١١٥٤ .
- (٣٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٣٠١ .
- (٣٧) ليس من الضروري أن نورد هنا جميع تلك السؤالات ، فهي لكثرتها وتعددتها ستستغرقنا طويلاً ، كما أننا لن نفعل بذكرها كلها أكثر من تكرارها وإعادة ما سبقنا إليه غيرها . وقد أخرج بعض تلك السؤالات الأنباري في

الوقف والابتداء (ج ١ ، ص ص ٧٦ - ٩٨) وأخرج بعضها الآخر الطبراني في معجمه الكبير (انظر السيوطي ، الانتقان ، ج ١ ، ص ٣٢٦) وكذلك السيوطي ، في (الانتقان ج ١ ، ص ٣٢٦ ومابعدهما) والمبرد في الكامل (ج ٣ ، ص ٢٢٢) والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج ٦ ، ص ٣٠٣ ، و ج ٩ ، ص ٢٧٨) كما حقق مخطوطة عنها إبراهيم السامرائي ، ونشرها في كتاب تحت عنوان «سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس» (نشر في بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦٨ م) وسنشير إليها فيما بعد ، حين نعود إليها في هذا البحث ، بـ «سؤالات نافع» ، وأجرت دراسة حولها عائشة عبد الرحمن (انظر . عبد الكريم الحसन بكار ، ابن عباس مؤسس علوم العربية ، ص ٦٣) وألحقها محمد فؤاد عبد الباقي في آخر معجم أبو تراب الظاهري ، في كتابه شواهد القرآن (جدة : النادي الأدبي ، ١٤٠٤ هـ) .

(٣٨) سورة المائدة ، الآية ٣٥ .

(٣٩) سؤالات نافع ، ص ٩ .

(٤٠) سورة الحج ، الآية ٣٦ .

(٤١) سؤالات نافع ، ص ١٢ .

(٤٢) سورة سبأ ، الآية ١٣ .

(٤٣) سؤالات نافع ، ص ص ١٥ - ١٦ .

(٤٤) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٤٥) سؤالات نافع ، ٩ .

(٤٦) سورة مريم ، الآية ٢٣ .

(٤٧) سؤالات نافع ، ص ١١ .

(٤٨) سورة آل عمران ، الآية ١٣ .

(٤٩) سؤالات نافع ، ص ١٣ .

(٥٠) سورة النور ، الآية ٤٣ .

(٥١) سؤالات نافع ، ص ١٠ .

(٥٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٢ .

(٥٣) سؤالات نافع ، ص ١٦ .

(٥٤) سورة الرحمن ، الآية ٣٥ .

(٥٥) سؤالات نافع ، ص ١٣ .

(٥٦) سورة الرحمن ، الآية ٤٤ .

(٥٧) سؤالات نافع ، ص ٢٣ .

(٥٨) سورة آل عمران ، الآية ١٥ .

(٥٩) سؤالات نافع ، ص ٢٠ .

(٦٠) سورة الشعراء ، الآية ١١٩ .

(٦١) سؤالات نافع ، ص ٢٣ .

(٦٢) سورة الأنعام ، الآية ٩٩ .

- (٦٣)سؤالات نافع ، ص ٩ .
 (٦٤)سورة طه ، الآية ١١٩ .
 (٦٥)سؤالات نافع ، ص ١٢ .
 (٦٦)سورة ص ، الآية ٣ .
 (٦٧)سؤالات نافع ، ص ٤٦ .
 (٦٨)سورة الفرقان ، الآية ٢٥ .
 (٦٩)سؤالات نافع ، ص ٤٤ .
 (٧٠)سورة القيامة ، الآية ٢٤ .
 (٧١)سؤالات نافع ، ص ٤٧ .
 (٧٢)سورة الصافات ، الآية ٤٧ .
 (٧٣)سؤالات نافع ، ص ١٥ .
 (٧٤)سورة الواقعة ، الآية ٢٢ .
 (٧٥)سؤالات نافع ، ص ٤٤ .
 (٧٦)سورة هود ، الآية ٦٩ .
 (٧٧)سؤالات نافع ، ص ٤٥ .
 (٧٨)سورة الجن ، الآية ٣ .
 (٧٩)سؤالات نافع ، ص ٢٢ .
 (٨٠)سورة البقرة ، الآية ٣ .
 (٨١)سؤالات نافع ، ص ٥٨ .
 (٨٢)سورة البقرة ، الآية ٢٢ .
 (٨٣)سؤالات نافع ، ص ١٦ .
 (٨٤)سورة الأنعام ، الآية ٤٢ .
 (٨٥)سؤالات نافع ، ص ٢١ .
 (٨٦)سورة البقرة ، الآية ٢٢٩ .
 (٨٧)سؤالات نافع ، ص ١٧ .
 (٨٨)سورة النجم ، الآية ٦١ .
 (٨٩)سؤالات نافع ، ص ص ٤١ - ٢٥ .

(٩٠)عبد الكريم المحسن بكار ، ابن عباس مؤسس علوم العربية ، ص ٦٣ .

(٩١)لقد أصاب الشعر أضرار كثيرة جراء إتهام قريش الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه «شاعر» ، والقرآن الكريم بأنه «شعر» ، فكان في تصدي القرآن لهذا الاتهام ما أفضى إلى الاعتقاد ، لدى الكثيرين ، بموقف متجههم من القرآن حيال الشعر ، بينما ظل آخرون يحصرون موقف القرآن ذاك ضمن مساحته المعقولة ، وهي «تبرئته» الرسول من أن يكون شاعراً ، و «تزيه» كلام الله عن أن يكون شعراً ، وذلك من أجل التأكيد ، في نهاية الأمر ، على حقيقة الوحي وصدق النبوة ، وهما المسألتان اللتان كان من أغراض قريش دحضهما ومناهضتهما .

- (٩٢) إشارة إلى قوله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاؤون» سورة الشعراء ، الآية ٢٢٤ . فحتى إن كان المقصود ، حسب بعض الآراء ، الشعراء المشركين في مكة ، إلا أن الأمر لا يخلو من نفس ساخن يطال الشعر كله حسب بعض الآراء ، وانظر مثلاً القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١٥١ ، والرازي ، مفاتيح الغيب ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام (القاهرة : ١٩٦٨م) ج ٧ ، ص ٦٧ ، والطبري ، تفسير ، (القاهرة : ١٣٠٢ - ١٣٢١هـ / ١٨٨٤ - ١٩١٣م) ج ١٩ ، ص ٧٣ ، والزنجشيري ، الكشف ، تحقيق مصطفى حسين أحمد (القاهرة : مطبعة الاستقامة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣م) ج ٣ ، ص ٣٤٤ ، فيرى هذا الأخير أن المقصود هو : «ألا يتبع (الشعراء) على باطلهم وكذبهم وفضول قوهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسب بالحرم والغزل والابتهاج ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قوهم إلا الغاؤون والسفهاء ، والشاطر . . .» .
- (٩٣) انظر الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ١ ، ص ٧٣ .
- (٩٤) الكامل ، ج ٣ ، ص ١١٥٢ - ١١٥٣ . وانظر الرواية بلفظ آخر في الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ١ ، ص ٧٢ ، والزركلي في الأعلام (ج ٤ ، ص ٩٥) يشير إلى هذه القصة .
- (٩٥) الديوان
- (٩٦) قارن : ابن رشيقي ، العمدة ، ج ١ ، ص ٣٠ .
- (٩٧) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١١٥٤ .
- (٩٨) القالي ، ذيل الأمالي ، (القاهرة : دار الفكر ، د . ت) ص ١٤١ ، وقيل «إنه كان إذا سمع النوادر سد أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهم» الزركلي ، الأعلام ، ج ٤ ، ص ٩٥ .
- (٩٩) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، تحقيق إبراهيم رمضان ، وسعيد اللحام ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ج ١ ، ص ٣١٤ .
- (١٠٠) الحافظ الأصبهاني ، حلية الأولياء ، ط ٥ (القاهرة : دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ج ١ ، ص ٣١٤ .
- (١٠١) الجاحظ ، نكت الهميان ، ص ١٨٠ .
- (١٠٢) الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ١ ، ص ٧٣ .
- (١٠٣) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ .
- (١٠٤) زهير بن أبي سلمى .
- (١٠٥) النابغة الذبياني .
- (١٠٦) الجرجاني ، الرسالة الشافية ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام (القاهرة : ١٩٦٨م) ص ١٣١ . وانظر هذه الرواية بلفظ مشابه في الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ٢ ، ص ١٩٣ ، وابن رشيقي ، العمدة ، ج ١ ، ص ٩٧ .
- (١٠٧) ابن رشيقي ، العمدة ، ج ١ ، ص ٩٧ ، وكذلك السيوطي في الزهر ، ج ٢ ، ص ٤٨١ .
- (١٠٨) يبدو أن الخطيئة ، لمكانته واحتجاج برأيه ، كان يسأل دائماً هذا السؤال حتى من غير ابن عباس ، وقد قيل إنه سئل مرة : من أشعر الناس ؟ فقال أبو دؤاد حيث يقول :
- لا أعَدُّ الاقْصَارَ عَدَمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مِنْ قَدْ رَزَمْتَهُ الْاَعْدَامُ

- ويعلق السيوطي : وهو وإن كان فحلاً قديماً ، وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ، ويروي شعره ، فلم يقل فيه أحد من النقاد مقاله الخطيئة ، انظر المزهر ، ج ٢ ، ص ٤٨١ .
- (١٠٩) انظر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٩ ، ص ٣٧٧ . وانظر الرواية بلفظ مشابه في الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ٤ ، ص ١٤٦ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٣١ .
- (١١٠) انظر المرزباني ، الموشح ، تحقيق على البجاوي (مصر : دار النهضة ١٩٦٥م) ص ٢٧٠ وابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق . مفيد قميحة (بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨١م) ص ١٣٩ .
- (١١١) انظر الإصابة ج ٤ ، ص ٩٠ ، والهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٩ ، ص ٢٨٥ . حيث يضيف : «فقال الولي : والله ما أراد بالكهام غيري والله بيني وبينه» وحيث ترد روايه عجز البيت الأخير هكذا : «بليغاً ولم تخلق كهاماً ولا حلاً» وانظر رواية الجاحظ لهذا الشعر في البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٣٣٠ ، وانظر أيضاً ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ ، والكاندهلوي ، حياة الصحابة ، ج ١ ، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .
- (١١٢) السيوطي ، المزهر ، ج ٢ ، ص ٣١١ .
- (١١٣) الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٩ ، ص ٢٧٦ ، وانظر في هذا المعنى شمس الدين الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، (دار الفكر العربي د . ت) ج ١ ، ص ٤٠ .
- (١١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ص ٣٣ - ٣٤ (نقله الحسن بكار ، ص ١٢٥) .
- (١١٥) المفاضلة بين شاعر وشاعر والحكم بأفضلية هذا على ذلك من صميم النقد الأدبي . انظر محمود غناوي الزهيري ، نقائض جرير والفرزدق (القاهرة : ١٩٥٣م) ص ٢٠٤ .
- (١١٦) السيوطي ، المزهر ، ج ٢ ، ص ٤٨٢ .
- (١١٧) الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار الكتب) ج ١١ ، ص ٥ .
- (١١٨) انظر هذه الرواية في البخاري ، الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : ١٣٧٥هـ) ص ٢٠٦ ، وانظر ابن عديده ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٧٦ ، وفي مكان آخر من العقد الفريد (ج ٥ ، ص ٢٧١) هي حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم : «هذا من كلام النبوة» .
- (١١٩) سورة الحجرات ، الآية ١١ «ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب» .
- (١٢٠) البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٩١ .
- (١٢١) البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٩٠ .
- (١٢٢) الحافظ الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .
- (١٢٣) البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٩١ .
- (١٢٤) البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٩١ .
- (١٢٥) الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الكتب) ج ٢ ، ص ١٩٢ ، وج ٢ ، ص ٦١٠ (طبعة دار الشعب) .
- (١٢٦) الأصفهاني ، الأغاني ، (طبعة دار الشعب) ج ٢ ، ص ٦١٠ - ٦١١ .
- (١٢٧) عتبية بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، شاعر مقل ، غير معدود في الفحول ، ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وابن فسوة لقب لمزحه في نفسه ، ولم يكن أبوه يلقب بفسوة وإنما لقب هو بهذا . انظر الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ ، وانظر ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج ٣ ، ص ١٠٣ .

- (١٢٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت : دار الجيل ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) ج ١ ، ص ٢٨٤ .
- (١٢٩) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق مفيد قميحة (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨١م) ص ١٧٥ .
- (١٣٠) قال هذه الأبيات «عندما وفد إلى المدينة بعد مقتل علي عليه السلام ، فلقى الحسن بن علي عليه السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما ، فاشترى عرضه بما أَرْضاه» الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار الشعب) ج ٢٦ ، ص ٨٩٥٢ .
- (١٣١) انظر رواية أخرى لهذه الأبيات في الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار الشعب) ج ٢٦ ، ص ص ٨٩٥٢ - ٨٩٥٣ .
- (١٣٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٢٣٤ .
- (١٣٣) انظر في هذا ، على سبيل المثال ، ابن رشيق ، العمدة ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ، بيفان ، كتاب النقائض/نقائض جرير والفرزدق ، (ليدن ١٩٠٨م - ١٩١٢م) ج ١ ، ص ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، ودواوين الشعراء جرير والفرزدق والأخطل ، وانظر أيضا أحمد الشايب ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ط ٣ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م) ص ٤١١ وغيرها .
- (١٣٤) انظر في هذا على سبيل المثال ، أحمد الشايب ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ص ٤١٢ ، وما بعدها .
- (١٣٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ١٥٢ .
- (١٣٦) ابن العربي ، أحكام القرآن ، تحقيق على محمد البجاوي (القاهرة : دار الفكر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ج ٣ ، ص ١٤٤٧ .
- (١٣٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة : دار الشعب ، د . ت) ج ٦ ، ص ٤٨٦٧ .
- (١٣٨) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٧٢١ ، ولفظه «هو (أي الشعر) كلام حسنه حسن وقيحه قبيح» وهو فحوى حديث شريف يرد ، بمقتضى رواية البخاري ، هكذا : «إن الشعر بمنزلة الكلام ، وقيحه كقبيح الكلام» انظر الأدب المفرد ، ص ٢٢٣ . ومحقق الأدب المفرد يقول في الهامش : «ليس في شيء من الكتب الستة» . وحسب ابن رشيق وغيره فإن هذا من أقوال السيدة عائشة ، انظر العمدة ، ج ١ ، ص ٢٧ ، والجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة : ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص ٧١ . أما ابن العربي وآخرون فيرون أن القول السابق هو خلاصة رأي الإمام الشافعي في الشعر ، انظر أحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١٤٢٧ ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ١٥١ ، وهذا الأخير (ج ١١ ، ص ٢٧١) يعلق قائلاً «وأصحاب الشافعي يأترون هذا الكلام عن الشافعي ، وأنه لم يتكلم به غيره ، وكأنهم لم يقفوا على الأحاديث في ذلك» .

المراجع

- ابن الأثير ، أسد الغاية ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد ، القاهرة ، دار الشعب ، د . ت .
- ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، تحقيق إبراهيم رمضان ، وسعيد اللحام ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ .
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٨٧ م .
- ابن رشيقي ، العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٢ م .
- ابن سعد ، الطبقات ، بيروت ، دار صادر د . ت .
- ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ابن عبدربه ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين الزين ، وإبراهيم الإياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ابن العربي ، أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ابن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق مفيد قمبيحة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨١ م .
- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط ٢ ، بيروت ، دار المعارف ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الأخطل ، ديوان ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط ٢ ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- الأصبهاني ، الأغاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، وكذلك طبعة دار الكتب ، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .
- البخاري ، الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ .
- البخاري ، الجامع الصحيح ، تحقيق م . لودولف كرهل لي ، بريل ، ١٨٦٢ / ١٩٠٨ م .
- بكار (الدكتور) عبد الكريم الحسن ، ابن عباس مؤسس علوم العربية ، جدة ، مكتبة الوادي للتوزيع ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- بيفان ، كتاب نقائض جرير والفرزدق ، لندن ، ١٩٠٨ م - ١٩١٢ م .
- الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ودار الفكر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- الجرجاني ، الرسالة الشافية ، تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- جرير ، ديوان ، تأليف محمد إسماعيل عبد الصاوي ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت .
- الحافظ الأصبهاني ، حلية الأولياء ، ط ٥ ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، بيروت ، د . ت .
- الحسن (الدكتور) مصطفى سعيد ، عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ، ط ٣ ، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- الذهبي ، شمس الدين ، تذكرة الحفاظ ، دار الفكر العربي ، ١٣٧٤ هـ .
- الرازي ، مفاتيح الغيب ، تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .
- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط ٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ م .

- الزنجشري ، الكشف ، تحقيق مصطفى حسين أحمد ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .
- الزهيري ، محمود غناوي ، نقائض جرير والفرزدق ، القاهرة ، ١٩٥٣م .
- السامرائي (الدكتور) إبراهيم ، سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس ، بغداد ، مطبعة دار المعارف ، ١٩٨٦م .
- سلام (الدكتور) محمد زغلول ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ط ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨م .
- السيوطي ، الانتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد شريف سكر ، ومصطفى القصاص ، بيروت ، دار إحياء العلوم ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
- السيوطي ، المهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، د . ت .
- الشايب ، أحمد ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦م .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، لندن ، ١٩٦٤م .
- الطبري ، تفسير ، القاهرة ، ١٣٠٢هـ - ١٣٢١هـ/١٨٨٤ - ١٩١٣م .
- الطبري ، محب الدين ، السمط الثمين ، تحقيق محمد علي قطب ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٨٩م .
- الظاهري ، أبو تراب ، شواهد القرآن ، جدة ، النادي الأدبي ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .
- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، معجم غريب القرآن ، ط ٢ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .
- الفرزدق ، ديوان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٦م .
- القالبي ، ذيل الأمالي ، القاهرة ، دار الفكر ، د . ت .
- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م .
- الكاندهلوي ، محمد يوسف ، حياة الصحابة ، تحقيق نايف العباس ، ومحمد علي دولة ، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- المبرد ، الكامل ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، ط ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- المزرباني ، الموشح ، تحقيق على محمد البجاوي ، مصر ، دار النهضة ، ١٩٦٥م .
- الهيتمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، القاهرة ، دار الريان ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

“Bin Abass” Relation with Poetry

FAHAD AL-ORABI AL-HARTHI

*Assistant Professor, Arabic Language Department,
College of Arts, King Saud University,
Riyadh, Saudi Arabia*

ABSTRACT. What is known about Ibdalla Bin Abass's, may God be pleased with him, relation with poetry is that aspect which falls within the context of his approach to interpretation, an aspect of which poetry was a source of the explanation of the “strange” (Al-Gareeb). It was, no doubt, a rich approach of a wide spectrum of visions, and it still deserves more attention and study.

This paper deals with another aspect of “Bin Abass” relation with poetry, an aspect which falls outside the context of his approach to interpretation. It deals with “Ibn Abass” as an admirer of this art, specially from a perspective of enjoyment and taste. He was, may God be pleased with him, acquainted with some of the great poets of his epoch, and he had “A special day” for poetry whereas nothing is said except poetry. Thus he used to listen to poetry, memorize it, cite it, and evaluate it. Of all his contemporaries, he is considered the most knowledgeable of this art. In fact the genuine connection here may lead to a sharp climax as we come across stories and news which indicate that the connection surpassed the above mentioned limits, for he used sometimes to create poetry himself. He was always aligned to poetry as an expression, a voice of soul, an echo of passion, and a source of information of history, news, and battles ... etc. But that didn't prevent him to be very cautious about certain purposes of poetry, like satire which he rejected sometimes, and even imprisoned and exiled some of the poets who took to it.

This paper discusses all the above mentioned matter through news and stories that explain this aspect of the life of this great “Shabi”. Hence, this paper changes the normal course to recall the known stereotype of Ibn Abass relation with poetry: From the common course of a relation based on purely educational purpose (that is to resort to poetry to explain “The Strange”), to another course of a relationship of enjoyment and taste, based on poetry as an asset of multiple cultural, creative, and artistic values. No doubt this course may contribute to reveal the real space occupied by this art in Ibn Abass mind and soul, and it may, at the same time, shed more light on the relation of Islam with poetry as a whole.